





THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

74-961581

(vol. 2)

جامع السعادات

للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى

محمد مهدي النراقي

المتوفي ١٢٠٩ هـ

الجزء الثاني

حققه وعلق عليه

العلامة السيد محمد كلانتر

عميد جامعة النجف الدينية

قدم له

الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه

منشورات



Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

Handwritten text line.

جَامِعُ السَّعَادَاتِ

للشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى

محمد مهدي النراقي

المتوفي ١٢٠٩ هـ

الجزء الثاني

حققه وعلق عليه

العلامة السيد محمد كلانتر

عميد جامعة النجف الدينية

قدم له

الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه

الطبعة الرابعة



المكتبة الاهلية

لصاحبها شمس الدين الحيدري
شارع المتنبي - بغداد

المقام الثالث

فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج

الشهره - فوائد الجوع - الشهوة الجنسية - خلود الشهوة - العفة
 - الاعتدال في الشهوة - حب الدنيا - لا بد للمؤمن من مكسب - الدنيا
 المذمومة هي الهوى - ذم الدنيا وانها عدوة الله والانسان - خصائص صفات
 الدنيا - تشبيهات الدنيا وأهلها - عاقبة حب الدنيا وبغضها - الجمع بين
 ذم المال ومدحه - حب المال - ذم المال - غوائل المال وفوائده - الامور
 المنجية من غوائل المال - الزهد - مدح الزهد - اعتبارات الزهد ودرجاته
 - الزهد الحقيقي - ذم الغنى - الفقر - اختلاف أحوال الفقراء - مراتب
 الفقر ومدحه - الموازنة بين الفقر والغنى - ما ينبغي للفقير - وظيفة الفقراء
 - موارد قبول العطاء وردّها - لا يجوز السؤال من غير حاجة - الحرص
 وذمة - القناعة - علاج الحرص - الطمع وذمة - الاستغناء عن الناس -
 البخل - ذم البخل - السخاء - معرفة ما يجب أن يبذل - الايثار - علاج
 البخل - الزكاة - سر وجوب الزكاة وفضيلة سائر الاتفاقات - الحث على
 التعجيل في الاعطاء - فضيلة اعلان الصدقة الواجبة - ذم المن والاذى في
 الصدقة - ما ينبغي للمعطي - ما ينبغي للفقراء في أخذ الصدقة - زكاة
 الابدان - الخس - الاتفاق على الامل والعيال - ما ينبغي في الاتفاق
 على العيال - صدقة التطوع - فضيلة الاسرار في الصدقة المندوبة - الهدية
 - الضيافة - ما ينبغي ان يقصد في الضيافة - آداب الضيافة - الحق
 المعلوم وحق الحصاد والجذاذ - القرض - انظار المعسر والتحليل - بذل
 الكسوة والسكنى ونحوهما - ما يبذل لوقاية العرض والنفس - ما ينفق في
 المنافع العامة - الفرق بين الاتفاق والبر والمعروف - طلب الحرام - عزة
 تحصيل الحلال - انواع الاموال * الفرق بين الرشوة والهدية - الورع عن
 الحرام - مدح الورع - مداخل الحلال - درجات الورع - الغدر -
 انواع الفجور - الخوض في الباطل - التكلم بما لا يعنى - حد التكلم
 بما لا يعنى - أسباب الخوض فيما لا يعنى - الصمت *

فنقول : اما جنسا رذائلها (١) فاحدهما :

الشره

وهو اطاعة شهوة البطن والفرج ، وشدة الحرص على الاكل والجماع ، وربما فسر باتباع القوة الشهوية في كل ما تدعو اليه : من شهوة البطن والفرج وجب المال ، وغير ذلك ؛ ليكون أهم من سائر رذائل قوة الشهوة ، وتحقيق جنسيته ، وعلى الاول يكون بعض رذائلها كحب الدنيا المتعلق بها أهم منه ، الا ان القوم لما فسروه بالاول فنحن اتبعناهم ، اذ الامر في مثله هين .
وبالجملة : رذيلة الشره من طرف الافراط ولا ريب في كونه أعظم المهلكات لابن آدم ، ولذا قال رسول الله (ص) : « من وقى شر قبقة وذذب به ولقلقه فقد وقى » ، والقبقة : البطن ، والذذب : الفرج ، واللقق : اللسان . وقال (ص) : « ويل للناس من القبيين ! » ، فليل : وما هما يا رسول الله ؟ قال : الحلق والفرج . وقال (ص) : « اكثر ما يلج به امتي النار الاجوفان : البطن والفرج » . وقال (ص) : « ثلاث اخافهن على امتي من بعدي : الضلالة بعد المعرفة ، ومضلات الفتن ، وشهوة البطن والفرج » .
ويدل على ذم (الاول) — اعني شهوة البطن والحرص على الاكل والشرب — قوله (ص) : « ما ملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه » ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . وقال (ص) : « لا تسيئوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء » . وقال (ص) : « أفضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا ، وابغضكم الى الله تعالى كل ثوم اكل شروب » وقال (ص) : « المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق يأكل في سبعة امعاء » ، أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكله المؤمن او تكون شهوته سبعة امثال شهوته ، فللمعاء كناية عن الشهوة . وقال (ص) : « ان ابغض الناس الى الله المتخمون الملاءى ، وما ترك عبد أكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة » . وقال (ص) : « بش العون على الدين قلب فغيب وبطن رغيب

ونعظ شديد» (٢) وقال (ص) : « أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا » . وقال (ص) : « لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه » . وفي التوراة : « ان الله ليبغض الحبر السمين » ، لأن السمين يدل على الغفلة وكثرة الاكل . وفي بعض الآثار : « ان الله يبغض القاريء السمين » . وقال لقمان لابنه : « يا بني ! اذا امتلأت المعدة فامت الفكرة وخرست الحكمة ، وقعدت الاعضاء عن العبادة » . وقال الباقر (ع) : « اذا شبع البطن طغى » . وقال عليه السلام : « ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من بطن مملوء » . وقال الصادق عليه السلام : « ان البطن ليطغى من آكلة » ، وأقرب ما يكون العبد من الله اذا خف بطنه ، وابغض ما يكون العبد الى الله اذا امتلأ بطنه » . وقال (ص) : « ليس لابن آدم بد من آكلة يقيم بها صلبه ، فاذا أكل أحدكم طعاماً ، فليجعل ثلث بطنه للطعام ، وثلث بطنه للشراب ، وثلثه للنفس ؛ ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح » . وقال (ع) : « ما من شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل ، وهي مورثة شيئين : (قسوة) القلب ، و (هيجان) الشهوة . والجوع ادام للمؤمن ، وغذاء للروح ، وطعام للقلب ، وصحة للبدن » .

والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، ولا ريب في أن أكثر الامراض والاسقام تترتب على كثرة الاكل . قال الصادق عليه السلام : « كل داء من التخمّة الا الحمى فانها ترد وروداً » . وقال عليه السلام : « الاكل على الشبع يورث البرص » . وكفى لشهوة البطن ذماً انها صارت منشأ لخراج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار ، اذ نهيا عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى آكلا منها ، فبذت لهما سواتهما .

والبطن منبت الادواء والافات وينبوع الشهوات ، اذ تتبعها شهوة الفرج وشدة السبق الى المنكوحات ، وتبع شهوة الطعام والمنكح شدة الرغبة في الجاه والمال ، ليتوسل بهما الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ، ويتبع ذلك انواع الرعونات ، وضروب المحاسنات والمنافسات ، وتتولد من ذلك

(٢) صححنا الحديث على نسخ الوسائل المصححة في كتاب الاطعمة ، والوافي - ١١ : ٦٦ - . وكذا ذكره في مجمع البحرين مادة (انخب) ، والنخب : الجبان الذي لا قواد له . والرغيب : الواسع .

آفة الرياء ، وغائلة التفاخر والتكاثر والمعجب والكبر ، ويداعى ذلك الى
الحقد والعداوة والبغضاء ، ويفضى ذلك بصاحبه الى اقتحام البني والمنكر
والفحشاء . وكل ذلك ثمره اهلاك المعدة وما يتولد من بطن الشبع والامتلاء
ولو ذل العبد نفسه بالجوع ، وضيق مجاري الشيطان ، لم يسلك سبيل
البطر والطغيان . ولم ينجر به الى الانهالك في الدنيا والانغمار فيما يفضيه
الى الهلاك والردى ، ولذا ورد في فضيلة الجوع والصبر عليه ما ورد من
الاخبار ، قال رسول الله (ص) : « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش ، فان
الاجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله ، وانه ليس من عمل أحب الى الله
من جوع وعطش » . وقال (ص) : « أفضل الناس من قل مطعمه وضحكه
ورضى بما يستر عورته » . وقال (ص) « سيد الاعمال الجوع » وذلل النفس
لباس الصوف « وقال (ص) : « اشربوا واكلوا في انصاف البطون ، فانه
جزء من النبوة » . وقال (ص) : « قلة الطعام هي العبادة » . وقال (ص)
« ان الله يباهي الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا ، يقول : انظروا الى
عبيدي ابتليت بالطعام والشراب في الدنيا فقصر وتركهم ، اشهدوا يا ملائكتي :
ما من آكلة يدعها الا ابدلتها بها درجات في الجنة » . وقال (ص) : « اقرب
الناس من الله عز وجل يوم القيامة من مال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا » .
وقال عيسى عليه السلام : « اجمعوا اكبادكم واعزوا اجسادكم ، لعل قلوبكم
تري الله عز وجل » . وقالت بعض زوجاته (ص) : « ان رسول الله لم يستلي
قط شبرا . وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي ،
واقول : نفسي لك الفداء ! لو تبلعت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من
الجوع ، فيقول : اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما
هو اشد من هذا ، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم ما بهم واجزل
ثوابهم ، فاجدني استنجي ان ترفعت في معيشتي ان يقصر بي غذا دونهم ،
فأصبر اياما يسيره أحب الى من ان ينقص بي حظي غذا في الآخرة ، وما من
شيء أحب الي من الحقوق بأصحابي واخواني » . وروي : « انه جاءت
فاطمة عليها السلام ومعها كسيرة من خبز ، فدفعتها الى النبي (ص) فقال :
ما هذه الكسيرة ؟ قالت : قرص خبزته للحسن والحسين عليهما السلام جئتكم

منه بهذه الكسيرة . فقال : أما انه اول طعام دخل فم ايئك منذ ثلاث « (٣) .

فوائد الجوع

ثم تلجوع فوائد : هي صفاء القلب ورقته ، واتقاد الذهن وحدته ، والالتذاذ بالمناجاة والطاعة ، والابتهاج بالذكر والعبادة ، وكسر شهوات المعاصي المستولية بالشبع ، ودفع النوم الذي يفسد العمر ويكل الطبع ويقوت القيام والتهجد ، والتسكن من الايثار والتصديق بالزائد ، وخفة المؤنة الموجبة للفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد ، وصحة البدن ودفع الامراض اذ المنة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء ، وورد : « كلوا في بعض بطونكم تصحوا » ، واضداد هذه الفوائد من المناسد يترقب على الشبع . ثم علاج الشره بالاكل والشرب : ان يتذكر الاخبار الواردة في ذمه ، وينبه نفسه على رذالة المأكولات وخساستها ، وعلى خسة الشركاء من الحيوانات ، ويتأمل في المناسد المترتبة على الولوغ به : من الذلة ، والمهانة وسقوط الحشمة والمهابة ، وفنور القطة ، وظهور البلادة ، وحدوث العلل والامراض الكثيرة ، وبعد ذلك يحافظ نفسه عن الافراط في الاكل ولو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عادة .

الشهوة الجنسية

(واما الثاني) - اضني طاعة شهوة الفرج والافراط في الوقاع - فلا ريب في انه يقهر العقل حتى يجعل الانسان مقصور الهم على التمتع بالنسوان والنجواري ، فيحرم من سلوك طريق الآخرة ، او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وربما انتهت هذه الشهوة بمن غلب وهمه على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة ، فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة ، وقد خلق العقل ليكون مداعا لا ليكون خادما للشهوة . وهذا مرض قلوب فارغة خلت عن محبة الله وعن الهمم العالية .

ويجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة الفكر والنظر . واذا استحكم عسر دفعه ، وكذلك حب باطل من الجاه والمال والعقار والاولاد . فسل من يكسره في اول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابة عند توجيهها الى باب

ليدخله ، وما أهون منعها بصرف عنايتها ، ومثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابة حتى تدخل وتتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها ، وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر . فليكن الاحتراز والاحتياط في بدايات الامور اذ في اواخرها لا تقبل العلاج الا بجهود شديدة يكاد يوازي نزع الروح .

وربما اتمى افراط هذه الشهوة بطائفة الى ان يتناولوا ما يقويها ليستكثروا من انجماع ، ومثلهم كمثل من يلي بسباع ضارية تنفل عنه في بعض الاوقات فيختال لاثرتها وتهيجها في هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها . والتجربة شاهدة بان من ينقاد لهذه الشهوة ويسعى في تكثير ما يهيجها من النسوان وتجديدهن والتخيل والنظر وتناول الاغذية والادوية المحركة لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر ، وقد ينجر افراطها الى سقوط القوة واختلال القوى الدماغية وفساد العقل — كما برهن عليه في الكتب الطبية — . والوقاع اضر الاشياء بالدماغ ، اذ جل المواد المنوية يجلب منه ، ولذا شبه الغزالي هذه الشهوة بالعامل الظالم الذي لو اطلقه السلطان ولم يستع من ظلمه أخذ اموال الرعية على التدرج بأسرها . وابتلاهم بالفقر والفاقة ، فأهلكهم الجوع وعدم تسكنهم من تحصيل القوت ، وكذا هذه القوة لو لم يقهرها سلطان العقل ولم يقصها على طريق الاعتدال صرفت جميع المواد الصالحة والاخلط المحسودة التي اكتسبتها القوى الغازية لبدل ما يتخلل من الاعضاء في مصارف قصها وجعلها بأسرها منيا ، وتبقى جميع الاعضاء بلا قوت ، فتضعف ويدركها الفناء بسرعة . ولو كانت مطيعة للعقل بحيث تقدم على ما يأمرها به وتنزجر عما ينهاها عنه ، كانت كالعامل الذي يأخذ الخراج على طريق العدل والمروءة ، ويصرفه في مصارف المملكة من سد الثغور واصلاح القناطر وخروج العساكر ، وتبقى سائر اموال الرعية لانفسهم ، فيبقى لهم القوت وسائر ما يحتاجون اليه .

ولعظم آفة هذه الشهوة واقتضاها هلاك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم ترد الى حد الاعتدال ، ورد في ذمها ما ورد من الاخبار ، وقال رسول الله (ص) في بعض دعواته : « اللهم اني اعوذ بك من شر سمي وبصري

وقلبي وشر مني » • وروي : « انه اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله » •
وورد في تفسير قوله تعالى :

« ومن شر غاسق اذا وقب » (٤) •

أي : ومن شر الذكر اذا قام أو دخل • وقال (ص) : « النساء حياثل
الشیطان » وقال (ص) : « ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لهيئأس ابليس ان
يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن »^(٥) وقال (ص) « اتقوا فتنة
الدنيا وفتنة النساء » فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من قبل النساء •
وروي : « أن الشيطان قال لموسى (ع) : لا تخل بامرأة لاتحل لك • فانه
ما خلا رجل بامرأة لاتحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها » •
وروي ايضا : « أن الشيطان قال : المرأة نصف جندي ، وهي سهبي الذي
أرمي فلا اخطئ ، وهي موضع سري ، وهي رسولي في حاجتي » • ولا
ريب في انه لولا هذه الشهوة لما كان للنساء تسلط على الرجال •

وقد ظهر بالعقل والتقل : ان الافراط في هذه الشهوة وكثرة الطرقة
وانترو على النسوان مذموم • ولا تغرنك كثرة نكاح رسول الله (ص) فانه
كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا • وكان استغراقه في حب الله بحيث
يخشى احتراق قلبه والسراية منه الى قلبه • فكان (ص) يكثر من النسوان
ويشغل نفسه الشريفة بهن • وليبقى له نوع التفات الى الدنيا • ولا يؤدي
به كثرة الاستغراق الى مفارقة الروح عن البدن • ولذا اذا غشيت كثرة
الاستغراق وخاض في غمرات الحب والانس • يضرب يده على فخذه عاتشة
ويقول (ص) : « كليني واشغليني يا حبيراء ! » وهي تشغله بكلامها عن
عظيم ما هو فيه • لقصور طاقة قلبه عنه •

ثم لما كانت جبلته الانس بالله • وكان آنسه بالخلق عارضا يتكلمه رفقا
بيده • فاذا طالت مجالسته معهم لم يطق الصبر معهم وضاق صدره فيقول :
« أرحنا يا بلال ! » حتى يعود الى ما هو قرة عينه • فالضعيف اذا لاحظ

(٤) الفلق ، الآية : ٣ •

(٥) في احياء العلوم — ٣ : ٨٦ — ان هذا الكلام من قول سعيد بن المسيب
لا من كلام النبي — (ص ١) •

أحواله فهو معذور ، لأن الأفهام تقتصر عن الوقوف على أسرار أفعاله (٦) .
ثم علاج اقتران هذه الشهوة - بعد تذكر مفسدها المذكورة - كسرهما
بالجوع ، وسد الطرق المؤدية إليها : من التخیل والنظر والتكلم والخلوة ،
فإن أقوى الأسباب المهيجة لها هو النظر والخلوة ، ولذا قال الله تعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » (٧)

وقال النبي (ص) : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن
تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه » . وقال
- صلى الله عليه وآله وسلم - : « لكل عضو من أعضاء ابن آدم حظ
من أثراً ، فالعينان تزنيان وزناهما النظر » . وقال (ص) : « لا تدخلوا
على المغيبات - أي التي غاب عنها زوجها - فإن الشيطان يجري من أحدكم
مجري الدم » . وقال عيسى بن مريم (ع) : « إياكم والنظرة ، فإنها تزرع
في القلب شهوة ، وكفى بها فتنة » . وقيل ليحيى بن زكريا : ما بدء الزنا ؟
قال : « النظرة والثمني » . وقال داود (ع) لابنه : « يا بني ! امش خلف
الأسد (و) » (٨) الأسود ولا تمس خلف المرأة » . وقال إبليس : « النظرة
قوسي وسهمي الذي لا أخطيء به » .

ولكون النظر مهيجا للشهوة ، حرم في الشريعة نظر كل من الرجل
والمرأة إلى الآخر ، وكذا حرم استماع كل منهما لكلام الآخر ، إلا مع
الضرورة وعموم الحاجة ، وكذا حرم نظر الرجال إلى المرد من الصبيان إذا
كان مورثاً للفتنة ، ولذا كان كبراء الأخيار وعظماء الأبرار في الأعصار
والأمصار محتريزين عن النظر إلى وجوه الصبيان ، حتى قال بعضهم : « ما
أنا بأخوف على الشباب الناسك من سبع ضار كخوفي عليه من غلام أمرد
يجلس إليه » .

ثم إن لم تنفع الشهوة بالجوع والصوم وحفظ النظر ، فينبغي كسرهما

(٦) هذا الكلام كله عن تعليل كثرة طروق النبي - صلى الله عليه وآله -
مأخوذ من كلام الغزالي في إحياء العلوم - ٣ : ٨٧ - :

(٧) النور ، الآية : ٣٠ .

(٨) حرف (و) موجود في نسختنا الخطية وفي إحياء العلوم - ٣ : ٨٧ - ،
ولكنه قد شطب عليها في النسخة المطبوعة .

بالنكاح ، بشرط الاستطاعة والامن من غوائله . وقال (ص) : « معاشر الشباب ! عليكم بالباقة ، فمن لم يستطع فعله بالصوم ، فإن الصوم له رجاء » . وقال (ص) : « ان المرأة اذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان ، فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فان معها مثل الذي معها » .
(وثانيهما) - أي ثاني جنسي ردائل قوة الشهوة - :

الخمود

وهو التفریط في كسب ضروري القوت ، والفنور عما ينبغي من شهوة النكاح ، بحيث يؤدي الى سقوط القوة وتضييع العيال وانقطاع النسل . ولا ريب في كون ذلك مذموما غير مستحسن في الشرع ، اذ تحصيل المعارف الالهية واكتساب الفضائل الخلقية والعبادات البدنية موقوف على قوة البدن ، فالتفریط في اتصال بذل ما يتحلل الى البدن يوجب الحرمان عن تحصيل السعادات وهو غاية الخسران . وكذا اهمال قوة شهوة النكاح يوجب الحرمان عن الفوائد المترتبة عليها ، فان هذه القوة انما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ، ولأن يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة ، فان لذة الوقاع لو دامت لكافت أقوى للذات الجسدية ، كما أن ألم النار أعظم الآلام الجسدية ، فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم ، وليس ذلك الا بلذة مدركة وألم محسوس مشابهين للذات والآلام الاخرية . ولبقاء النسل فوائد : موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء نوع الانسان ، وعدم قطعه السلسلة التي وصلت اليه من مبدء النوع ، وطلب محبة رسول الله (ص) في تكثير من به مباهاته ، وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده ، وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله ، كما استفاضت به الاخبار .

ومن فوائد النكاح : كسر التوقان والتحنن من الشيطان ، بغض البصر وحفظ الفرج وقطع الوسوس وخطرات الشهوة من القلب ، واليه الاشارة بقوله (ص) : « من تزوج فقد أحرز نصف دينه » .

ومن فوائد النكاح : ترويح القلب عن تدبير المنزل ، والتكفل بشغل الطبخ والفرش والكنس ، وتنظيف الاواني وتهيئة أسباب المعيشة ، فان

الفراغ عن ذلك أتعون شيء على تحصيل العلم والعمل ، ولذا قال النبي (ص) :
« ليأخذ أحدكم لسانا ذاكرًا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه
على آخرته » .

ومنها : مجاهدة النفس ورياضتها بالسعي في حوائج الأهل والعيال ،
والاجتهاد في اصلاحهم وارشادهم الى طريق الدين ، وفي تحصيل المال الحلال
لهم من المكاسب الطيبة ، والقيام بتربية الأولاد ، والصبر على اخلاق النساء
وكل ذلك من الفضائل العظيمة ، ولذا قال رسول الله (ص) : « الكاد في
ثلاثة عياله كالمجاهد في سبيل الله » . وقال (ص) : « من حسنت صلاته
وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغترب المسلمين : كان معي في الجنة كهاتين » .
وقال (ص) : « من الذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة » . وقال (ص) :
« من كانت له ثلاث بنات فاتفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه
أوجب الله تعالى له الجنة » .

ولا ريب في أن الخمود عن الشهوة يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكورة
فهو مرجوح .

ثم لما كان للنكاح آفات أيضا ، كالاختياج الى المال وصعوبة تحصيل
الحلال منه — لا سيما في أمثال زماننا — والعجز عن القيام بحقوق التسوان
والصبر على أخلاقهن ، واحتمال الاذى منهن ، وتفرق الخاطر لأجل القيام
بتدبير المعيشة وتوعية ما يحتاجون اليه ، وتأدية ذلك غالبا الى مالا ينبغي من
الانقمار في الدنيا والغفلة عن الله — سبحانه — وعسا خلق لاجله ، فاللائق
أن يلاحظ في كل شخص أن الراجح في حقه ماذا ؟ — بعد ملاحظة الفوائد
والمفاسد — فيأخذ به .

وصل

العفة

قد عرفت أن ضد الجنسين (العفة) ، وهو القياد قوة الشهوة للعقل
في الاقدام على ما يأمرها به من المأكول والمنكح كما وكيفا ، والاجتناب عما
ينهاها عنه ، وهو الاعتدال المسدوح عقلا وشرعا ، وطرفاه من الافراط
والتفريط مذمومان ، فإن المطلوب في جميع الاخلاق والاحوال هو الوسط

اذخير الامور اوسطها ، وكلا طرفيها ذميم ، فلا تظنن مما ورد في فضيلة
الجوع أن الافراط فيه مسدوح ، فان الامر ليس كذلك ، بل من استمرار
حكمة الشريعة أن كلما يطلب الطبع فيه طرف الافراط بالغ الشرع في المنع
عنه على وجه يتوهم الجاهل منه أن المطلوب طرف التفريط ، والعالم يدرك
أن المقصود هو الوسط ، فان الطبع اذا طلب غاية الشبع ، فالشرع ينبغي
أن يطلب غاية الجوع ، حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا ، فيتقاومان
ويحصل الاعتدال . ولما بلغ النبي (ص) : في «ثناء على قيام الليل وصيام
النهار ، ثم علم من حال بعضهم أنه يقوم الليل كله ويصوم الدهر كله ، فنهى
عنه . والاخبار الواردة في مدح العفة وفضيلتها كثيرة ، قال أمير المؤمنين
عليه السلام : « افضل العباداة العفاف » . وقال الباقر (ع) : « مامن عبادة
أفضل من عفة بطن وفرج » . وقال (ع) : « ما عبد الله بشيء أفضل من
عفة بطن وفرج » . وقال (ع) : « أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج » .
وفي معناها أخبار أخر .

واذا عرفت هذا ، فاعلم أن الاعتدال في الاكل أن يأكل بحيث لا يحس
بثقل المعدة ولا بألم الجوع ، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلا ، فإن
المقصود من الاكل بقاء الحياة وقوة العباداة ، وثقل الطعام يمنع العباداة ،
وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها . فالمقصود أن يأكل أكلا معتدلا
بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر ، ليكون متشبهًا بالملائكة المقدسين عن ثقل
الطعام وألم الجوع ، واليه الإشارة بقوله تعالى .

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » (٩) .

وهذا يختلف بالنسبة الى الاشخاص والاحوال والاعذية ، والمعيار فيه
ألا يأكل طعاما حتى يشتهي ، ويرفع يده عنه وهو يشتهي ، وينبغي ألا
يكون غرضه من الاكل التلذذ ، بل حفظ القوة على تحصيل ما خلق لأجله ،
فيقتصر من أنواع الطعام على خير البر في بعض الاوقات ، وعلى خير الشعير
في بعضها ، ولو ضم اليه الادام فيكتفي بأدام واحد في بعض الاحيان ، ولا
يواظب على اللحم ، ولا يتركه بالمرة ، قال أمير المؤمنين (ع) : « من ترك

اللحم أربعين يوما ساء خلقه ، ومن دأوم عليه أربعين يوما قسى قلبه » .

الاعتدال في الشهوة

والاعتدال أن يكتفي في اليوم بليته بأكلة واحدة في وقت السحر ، بعد الفراغ عن التهجد أو بعد صلاة العشاء ، أو بإكيتين : التغدي والتعشي .
— أن لم يقدر على الاكتفاء بمرة واحدة — وقد استفاضت أخبار أئمتنا الراشدين — عليهم السلام — بالحث على التعشي .

ثم للمعرفة ترغيبات على الجوع وتضريعات على كثرة فوائده ، وعلى توقف كشف الأسرار الإلهية والوصول إلى المراتب العنقية عليه ، ولهم حكايات في إمكان الصبر عليه ، وعلى عدم الأكل شهرا أو شهرين أو سنة ، ونقلوا حصوله عن بعضهم . وهذا أمر وراء ما وردت به السنة وكلفت به عسوم الأمة ، فإن كان مسدوحا فإنما هو نفوم مخصوصين .

وأما الجماع ، فالاعتدال فيه أن يقتصر فيه على مالا ينقطع عنه النسل ، ويحصل له التحصن . وتزول به خطرات الشهوة ، ولا يؤدي إلى ضعف البدن والقوى .

وأما غير الجنس من الأنواع والنتائج والآثار المتعلقة بالقوة الشهوية — وإن كان بعضها أهم من الجنس أو مساويا لهما — :
فمنها :

حب الدنيا

أعلم أن للدنيا ماهية في نفسها وملهية في حق العبد ، أما ماهية الدنيا وحقيقتها في نفسها ، فعبارة عن أعيان موجودة : هي الأرض وما عليها ، والأرض هي العقار والضياع وأمثالهما ، وما عليها تجسده المعادن والنبات والحيوان ، والمعادن تطلب لكونها أما من الآلات والزينة كالنحاس والرصاص والجواهر وأمثالها ، أو من النقود كالذهب والفضة ، والنبات يطلب لكونه من الأقوات أو الأدوية ، والحيوانات تطلب إما للملكية أبقاها واستخدامها كالعبيد والغلمان أو للملكية قلوبها وتسخيرها ليرتب عليه التعظيم والاكرام وهو الجاه ، أو للتسنع والتلذذ بها كالجواني والنسوان ، أو للقوة والاعتضاد كالأولاد . هذه هي الأعيان المعبر عنها بالدنيا ، وقد جمعها الله سبحانه في قوله :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والغيل المسومة والانعام والحوت ذلك متاع الحياة الدنيا » (١٠).

وحب جميع ذلك من ردائل قوة الشهوة ، الا حب تسخير القلوب لقصد الغلبة والاستيلاء ، فانه من ردائل قوة الغضب — كما تقدم — وبذلك يظهر ان حب الدنيا المتعلق بقوة الشهوة اهم من الشره بأول تفسيريه — كما أشير اليه — .

وأما ما هيتهما في حق العبد ، فعبرة عن جميع ماله قبل الموت ، كما أن بعد الموت عبارة عن الآخرة ، فكل ما للعبد فيه نصيب وشهوة وحظ وغرض ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقه ، وللعبء فيه علاقتان ، علاقة بالقلب : وهو حبه ، وعلاقة بالبدن : وهو اشغاله باصلاحه ، ليستوفي منه حظوظه . الا أن جميع ماله اليه ميل ورغبة ليس بمذموم ، وذلك لأن ما يصحبه في الدنيا وتبقى ثمرته معه بعد الموت — أعني العلم النافع والعمل الصالح — فهو من الآخرة في الحقيقة ، وإنما سمي بالدنيا باعتبار دنوه ، فان كلا من العالم والعبء قد يلتذ بالعلم والعبادة بحيث يكون ذلك الذئ الاشياء عنده ، فهو وإن كان حظه عاجلاً له في الدنيا ، الا أنه ليس من الدنيا المذمومة ، بل هو من الآخرة في الحقيقة ، وإن عد من الدنيا من حيث دخوله في الحس والشهادة ، فان كل ما يدخل فيهما فهو من عالم الشهادة — أعني الدنيا — ولذا جعل نبينا — (ص) — الصلاة من الدنيا ، حيث قال : « حبب الي من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرعة عيني في الصلاة » . مع أنها من أعمال الآخرة .

فالدنيا المذمومة عبارة عن حظ عاجل ، لا يكون من أعمال الآخرة ولا وسيلة اليها ، وما هو الا التلذذ بالمعادي والتعهم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل .

وأما قدر الضرورة من الرزق ، فتحصيله من الأعمال الصالحة — كما نطقت به الاخبار — قال رسول الله (ص) : « العبادة سبعون جزءاً ، أفضلها طلب الحلال » . وقال (ص) : « ملعون من القى كله على الناس » .

وقال السجادة (ع) : « الدنيا دنيا آني : دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة » .
 وقال الجاقر (ع) : « من طلب الدنيا استغفاف عن الناس ، وسعيها على
 أهله » . وتعلقتا على جواره : لقي الله - عز وجل - يوم
 القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر » . وقال الصادق (ع) : « الكاد على
 دنياه كالمجاهد في حيل الله » . وقال (ع) : « ان الله تبارك وتعالى يحب
 الاغتراب في طلب الرزق » . (ع) وقال : « ليس منا من ترك دنياه
 لآخرته ولا آخرته لدينه » . وقال (ع) : « لا تكسلوا في طلب معاشكم » .
 قال آباءنا : « نوا يرتضون فيها ويظلمونها » . وقال له (ع) رجل : « ان
 نطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها ، فقال : تحب ان تصنع بها ماذا ؟ قال :
 أعود بها على نفسي وعيالي » . وأصل بها وانصديق ، واحج واضمر : فقال
 أبو عبد الله (ع) : « ليس هذا طلب الدنيا ، هذا طلب الآخرة » . وكان
 أبو الحسن (ع) يعمل في أرض قد استتعت قدماه في العرق ، فقيل له :
 « جعلت فداك ! اين الرجال ؟ فقال : وقد عمل باليد من هو خير مني في
 أرضه ومن أبي ، فقيل : ومن هو ؟ فقال : رسول الله (ص) وأمير المؤمنين
 وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم » . وهو من عمل النبي والمرسلين
 والأوصياء والصالحين » . وقد ورد بهذه المضامين أخبار كثيرة آخر مشهورة .

تذنيب

لابد للمؤمن من مكسب

وقد ظهر من هذه الاخبار ان الراجح - بل اللازم - لكل مؤمن أن
 يكون له مكسب طيب يحصل منه ما يحتاج اليه من الرزق وغيره من الخارج
 المعشودة . وقد مرّح بذلك في أخبار كثيرة آخر ، قال أمير المؤمنين (ع) :
 « أوحى الله - عز وجل - إلى داود (ع) : انك نعم العبد لولا أنك تأكل
 من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا » . قال : فبكى داود أربعين صباحا ،
 فأوحى الله - عز وجل - إلى الحديد أن لن لعبدي داود ، فالآن الله له
 الحديد ، وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم ، فعمل ثلاثمائة وستين
 درعا فباعها بثلاثمائة وستين ألفا ، واستغنى عن بيت المال » . وقال الصادق
 عليه السلام : « من أحبنا أهل البيت فليأخذ من الفقر جلبابا او تجففا » .

والجلباب : كناية عن الستر على فقره ، والتجفاف (١١) : كناية عن كسب طيب يدفع فقره . وقيل له في رجل قال : لأقعدن في بيتي ، ولأصلين ، ولأصومن ، ولأعبدن ربي ، فأما رزقي فسيأتي : قال أبو عبدالله : « هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم » .

وهذا - أي ملكة تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبة وصرفها في المخرج المحسنة - هو الحرية بالمعنى المعين ، إذ للحرية إطلاقان : (أحدهما) ذلك : وهو الحرية بالمعنى الخاص ، (وثانيهما) التخلص عن أسر الهوى وعبودية القوة الشهوية . وهو الحرية بالمعنى الأعم المرادفة ، وضده الرقية بالمعنى الأعم الذي هو طاعة الشهوة ومتابعة الهوى .

وضد الأول - أعنى الرقية بالمعنى الخاص - هو افتقاره الى الناس فيما يحتاج اليه من الرزق ، والقاء نظره الى أيديهم ، وحوالة رزقه على أموالهم أما على وجه محرم ، كالغصب والنهب والسرقة وأنواع الخيالات ، أو غير محرم . كأخذ وجود الصدقات وأوساخ الناس ، بل مطلق الأخذ منهم إذا جعل يده يدا سفلى ويدهم يدا عليا . ولأرب في كون الرقية بهذا المعنى مذمومة ، إذ الوجه (الأول) محرم في الشريعة وموجب للهلاك الأبدي ، والوجه (الثاني) وإن لم يكن محرما إذا كان فقيرا مستحقا ، إلا أنه لا يجابه التوقع من الناس وكون نظره اليهم يقتضي المذلة والانكسار والتخضع للناس والرقية والعبودية لهم ، وهذا يرفع الوثوق بالله والاعتماد والتوكل عليه ، ينجز ذلك الى سلب التوكل على الله بالكليّة ، وترجيح المخلوق على الخالق ، وهذا ينافي مقتضى الايمان والمعرفة الواقعية بالله سبحانه .

فصل

الدنيا المذمومة هي الهوى

قد ظهر مصادرك : ان الدنيا المذمومة حفظ نفسك الذي لاجاجة اليه لامر الآخرة ، ويعبر عنه بالهوى ، واليه أشار قوله تعالى :

(١١) التجفاف : آلة للحرب يتقى بها كالدرع . وعن تفسير أمثال هذا الحديث راجع الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من البحار ص ٦٥ ، فقبله تفصيل معناه . وقد نقل عن ابن الأثير في النهاية ، وابن أبي الحديد في شرحه : كلاما في هذا الباب .

« ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » (١٢) .

ومجامع الهوى هي المذكورة في قوله تعالى :

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال

والاولاد » (١٣) .

والاعيان التي تحصل منها هذه الامور هي المذكورة في قوله سبحانه :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من

الذهب والفضة والخيول المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله

عنده حسن المآب » (١٤) .

فهذه اعيان الدنيا . وللعبد معها علاقتان :

(علاقة مع القلب) : وهي حبه لها وحظه منها وانصرافه اليها ، حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بها ، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا : كالرياء والسسعة وسوء الظن والمداهنة والحسد والحقد والغل والكبر وحب المدح والتفاخر والتكاثر . فهذه هي الدنيا الباطنة ، والظاهرة هي الاعيان المذكورة .

و (علاقة مع البدن) : وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحفظه وحظوظه غيره ، وهذا الاشتغال عبارة عن الصناعات والحرف التي اشتغل الناس بها ، بحيث انهم انصرفوا عن الصناعات والحرف التي ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا على قدر الضرورة ، لم يستغرقهم اشتغال الدنيا والافهام فيها . ولما جهلوا بالدنيا وحكمتها وحفظهم منها لم يقتصروا على قدر الاحتياج ، فأوقعوا انفسهم في اشغالها ، وتتابعت هذه الاشغال واتصلت بعضها ببعض ، وتداعت الى غير نهاية محدودة ، فغفلوا عن مقصودها ، وتاهوا في كثرة الاشغال . فان امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وتفتح لاجله عشرة ابواب آخر ، وهكذا يتداعى الى غير حد محصور وكأنها وية لا نهاية لعيقها ، ومن وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى

(١٢) النازعات ، الآية : ٤٠ .

(١٣) الحديد ، الآية : ٢٠ .

(١٤) آل عمران ، الآية : ١٤ .

..وهكذا على التوالي : الا ترى ان ما يضطر اليه الانسان بالذات منحصر بالماكل والملبس والسكن ؟ ولذلك حدثت الحاجة الى صناعات هي اصول الصناعات : الفلاحة ، والرعاية للمواشي ، والحيآكة ، والبناء ، والاقتنص - أي تحصيل ما خلق الله من الصيد والمعادن والحشائش والاحطاب - وتترقب على كل من هذه الصناعات صناعات آخر : وهكذا الى ان حدثت جميع الصناعات التي تراها في العالم ، وما من احد الا وهو مشغل بواحدة منها أو اكثر الا أهل البطالة والكسالة ، حيث غفلوا عن الاشتغال في أول النصباء أو منعهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم ، حتى نشأوا بلا شغل واكتساب ، فاضطروا الى الاخذ بما يسعى فيه غيرهم ولذلك حدثت حرفتان خبيثتان هي (اللغووية) و (الكدية)^(١٥) . ولكل واحد منهما انواع غير محصورة لا تخفى على المتأمل .

فصل

ذم الدنيا وانها عدوة الله والانسان

أعلم ان الدين عدوة لله ولاوليائه ولاعدائه : أما عداوتها لله ، فانها قطعت الطريق على العبادة ، ولذلك لم ينظر اليها مذ خلقها ، كما ورد في الاخبار^(١٦) . وأما عداوتها لاوليائه واجبائه ، فانها تزييت لهم بزينتها وعسنتهم بزهرتها وفضارتها . حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها . وأما عداوتها لاعدائه ، فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها وحبائلها حتى وثقوا بها وعولوا عليها ، فاجتبوا منها حيرة وندامة تنقطع دونها الاكباد ، ثم حرمتهم عن السعادة أبداً لا يباد . فهم على فراغها ينحسرون ، ومن مكائدها يستغيثون ولا يعاينون ، بل يقال لهم :

« اخسؤا فيها ولا تكلمون » (١٧) . « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا

بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » (١٨) .

والآيات الواردة في ذم الدنيا وحبها كثيرة ، وأكثر القرآن مشتمل

(١٥) قال في المنجد : الكدية : الاستعطاء وحرفة السائل الملع .

(١٦) سياقي الخبر بهذا المعنى - ص ٢٥ - وهو عامي .

(١٧) المؤمنون ، الآية : ١٠٩ .

(١٨) البقرة ، الآية : ٨٦ .

على ذلك وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة . بل هو المقصود من
بعثة الانبياء ، فإلحاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها . فلنشر الى
نبذة من الاخبار الواردة في ذم الدنيا وحبها وفي سرعة زوالها ، قال رسول
الله (ص) : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا
منها شربة ماء » . وقال رسول الله (ص) : « الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ما كان لله منها » . وقال (ص) : « الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر » . وقال (ص) : « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في
شيء » . والزم الله قلبه أربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبدا ، وشغلا لا يتفرغ
منه أبدا ، وفقرا لا ينال غناه أبدا ، وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا » . وقال
— صلى الله عليه وآله — : « يا عجب كل العجب للمصدق بدار الخلود
وهو يسمى ندار الغرور ! » . وقال (ص) : « لتأتينكم بعدي دنيا تأكل
إيمانكم كما تأكل النار الحطب » . وقال : « ألهاكم التكاثر ، يقول ابن
آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك الا ما تصدقت فأبقيت ، او آكلت
فأفقيت ، او لبست فأبليت ؟ » . وقال : « أوحى الله — تعالى — الى
موسى : لا تركزن الى حب الدنيا ، فلن تأتين بكبيرة هي أشد عليك منها » .
وقال (ص) : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » . وقال (ص) : « من
أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه » . فأثروا ما يبقى
على ما يفنى » . ومرء (ص) على مزبلة ، فوقف عليها وقال : « هل سوا
الى الدنيا ! » وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد فخرت ،
فقال : « هذه الدنيا ! » . وقال (ص) : « ان الله لم يخلق خلقا أبغض
اليه من الدنيا ، وانه لم ينظر اليها منذ خلقها » . (ص) : « الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادي
من لا علم عنده ، وعليها يحسد من لا نقة له ، ولها يسعى من لا يقين له » .
وقال (ص) : « لما هبط آدم من الجنة الى الارض قال له : ابن الخراب
ولد للفناء » . وقال (ص) : « لتجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال
تهامة ، فيؤمر بهم الى النار » . فقيل : يا رسول الله ! أمصلين ؟ قال :
« نعم ، ! كانوا يصومون ويصلون يأخذون هنيئة من الليل ، فإذا عرض

لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه » • وقال (ص) : « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العنى ويجعله بصيرا ؟ ألا الله من رغب في الدنيا وطال فيها أمله أعنى الله قلبه على قدر ذلك » ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية » • وقال (ص) : « فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم » • وقال : « أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض » ، فقيل : ما بركات الارض ؟ قال : « زهرة الدنيا » • وقال (ص) : « دعوا الدنيا لأهلها » من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر » • وقال (ص) : « سيأتي قوم يعدي كلون أطيب الطعام وأنواعها ، وينكحون أجمل النساء ، والوانها ، ويلبسون ألين الثياب والوانها ، ويركبون أقوى الخيل والوانها ، لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا ، يعدون ويروحون اليها ، اتخذوها آلهة دون إلههم وربا دون ربهم الى أمرهم ينتهون وهواهم يلعبون ، فعزينة من محمد بن عبد الله من أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أبدا لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازتهم ولا يوقر كبيرهم ، ومن فعل ذلك فقد أمان على هدم الاسلام » • وقال (ص) : « مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا ؟ ! انما مثلى ومثلها كمثل راكب سار في يوم صائف ، فرفعت له شجرة ، فقال تحت ظلها ساعة ، ثم راح وتركها » • وقال (ص) : « أحمذوا الدنيا ، فانها أسحر من هاروت وماروت » • وقال (ص) : « حق على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه » • وقال عيسى بن مريم (ع) : « ويل لصاحب الدنيا ! كيف يموت ويتركها ، ويأمنها وتغره ، ويشق بها وتخذله ، ويل للفتن ! كيف ألزمهم ما يكرهون ، وفارقهم ما يحبون ، وجاءهم ما يوعدون ويل لمن أصبحت الدنيا همه والخطايا عمله ! كيف يفتضح غدا بذنبه » • وقال (ع) : « من ذا الذي يبنى على أمواج البحر دارا تلکم الدنيا ، فلا تتخذوها قارا » • وقال (ع) : « لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار في آفة واحد » • وأوحى الله — تعالى —

الى موسى : « يا موسى ! مالك والدار الظالمين ! انها ليست لك بدار ، اخرج منها هلك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي ، الا لعامل يعمل فيها فتعمت اندار هي ، يا موسى ! اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم » . واوحى اليه : « يا موسى ! لا تركن الى حب الدنيا ، فلن تأتي بكيرة هي اشد منها » . ومرو موسى (ع) برجل وهو يبكي ، ورجع وهو يبكي ، فقال موسى : « يا رب ! عبدك يبكي من مخافتك » ، فقال تعالى : « يا بن عمران ! لو نزل دماغه مع عينيه ورفق يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا » . وقال امير المؤمنين (ع) : — بعد ما قيل له صف لنا الدنيا — : « وما أصف لك من دار من صبح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العقاب » . وقال (ع) : « انما مثل الدنيا كمثل الحية ، ما ألين مسها وفي جوفها السم الناقع ، يحذرها الرجل العاقل ويهوى اليها الصبي الجاهل » . وقال في وصف الدنيا : « ما أصف من دار اولها غناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن ساعاها فاته ، ومن قعد عنها آتته ، ومن بصر بها بصرته ، ومن ابصر اليها اعته » . وقال عليه السلام في بعض مواضعه : « ارفض الدنيا ، فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب ، فتدرك ما بقي من عمرك ، ولا تقل غدا وبعد غد ، فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويق حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون ، فقتلوا على انوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة ، وقد اسلسهم الاولاد والاهلئون ، فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال » . وقال عليه السلام : « لا تغرنكم الحياة الدنيا ، فانها دار بالبلاء مخوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالعذر موصوفة ، فكل ما فيها الى زوال ، وهي بين اهلها دول وسجال ، لا تدوم احوالها ، ولا يسلم من شرها نزالها ، بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور ، احوال مختلفة ، وتارات متصرمة ، العيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم ، وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحمامها » . واعلموا عباد الله انكم وما اقم فيه من

هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ، ممن كان أطول منكم عمرا ، واشد منكم بشا ، واعسر ديارا وابعد آثارا ، فأصبحت اصواتهم هامة خامدة من بعد طول قلبها ، واجسادهم بالية ، وديارهم على عروشها خاوية ، وآثارهم عافية ، استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والسمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللامعة الملحدة ، فمحلها مقرب ، وساكنها مغرب ، بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة متشاغلين ، لا يستأنسون بالعران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان ، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل ، وقد ملحنهم بكلكلة البلاء ، واكثرتهم الجذال والثرى ، واصبحوا بعد الحياة أمواتا ، وبعد فضايرة العيش وفاتا ، فجعل بهم الاحباب ، وسكنوا تحت التراب ، وظعنوا فليس لهم اياد .
هيهات هيهات !

« كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » (١٩) .

فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المشوى ، وارتمتكم في ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، وكيف بكم لو عاينتكم الامور ، وبعثت القبور ، وحصل ما في الصدور ، واوقضتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل ، فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجب والاستار ، فظهرت منكم العيوب والاسرار ، هنالك .

« تجزى كل نفس بما كسبت » (٢٠) .

وقال ايضا عليه السلام في بعض خطبه : « اوصيكم بتقوى الله وانترك للدنيا التاركة لكم ، وان كنتم لا تحبون تركها ، المبلىة اجسامكم ، واقتم تريدون تجديدها ، فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكو طريقا ، وكأنهم قد قطعوه ، وافضوا الى علم ، فكأنهم قد بلغوه ، وكم عسى ان يجري المجرى حتى ينتهي الى الغاية ، وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا ، وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها ، فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى القطاع ولا تفرحوا بستانها وفعائها فانه الى زوال ، عجبت لطالب الدنيا والموت

(١٩) المؤمنون ، الآية : ١٠١ .

(٢٠) المؤمن ، الآية : ١٧ .

يطلبه . وغافل وليس يستفول عنه » .

وقال السجّاد عليه السلام : « ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ، الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والثراب فراشا والماء طيبا ، وقرضوا من الدنيا قريضا ، الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات . ومن اشتق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، الا ان لله عبدا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخجلين وكمن رأى أهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة ، وحواسهم خفيفة ، صبروا اياما قليلة ، فصاروا بعضى راحة ضويلة ، اما الليل فصافون اقوامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، وهم يجأرون الى ربهم ، يسعون في فكاك رقابهم . واما النهار فحطماء علماء بررة اتقياء كأنهم القداح ، قد براهم الخوف من العباداة ، ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى . وما بالقوم من مرض . ام خولطوا ، فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها . وقال عليه السلام : « ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله (ص) افضل من بغض الدنيا ، فان لذلك اشعبا كثيرة وللعاصي شعباء فأول ما عصى الله به الكبير معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين . ثم الحرص ، وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عز وجل لهما :

« فكلما من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (٢١) .

فأخذا ما لا حاجة بهما اليه ، فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيامة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به اليه . ثم الحسد ، وهو معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا ، وحب الرئاسة ، وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة ، فصرنا سبع خصال ، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا . فقال الانبياء والعلماء — بعد معرفة ذلك — : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا آتنة :

دنيا بلاغ ودنيا ملعونة . وقال الباقر عليه السلام لجابر : « يا جابر ! انه من دخل قلبه ضائي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه ، يا جابر ! ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا ؟ هل هي الا طعام أكلته ، أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر ! ان المؤمنين لم يطمأنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الآخرة . يا جابر ! الآخرة دار قرار ، والدنيا دار فناء وزوال ، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة ، وكان المؤمنون هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة ، لم يصيبهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا بأذانهم ، ولم يصيبهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ، ففازوا بشواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم » (٢٢) . وقال الصادق عليه السلام : « مثل الدنيا كمثل ماء البحر ، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله » . وقال : فيما ناجى الله عز وجل به موسى : « يا موسى ! لا تركز الى الدنيا ركوب الظالمين وركوب من اتخذها أبا وأما . يا موسى ! لو وكلت الى نفسك لتنظر لها اذن لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها . يا موسى ! ناقس في الخير أهله واستبقهم اليه فان الخير كاسبه ، واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ، ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها وموكل الى نفسه ، واعلم ان كل فتنة بدؤها حب الدنيا ، ولا تحبظ احدا بكثرة المال ، فان مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبط احدا برضى الناس عنه ، حتى تعلم ان الله راض عنه ، ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له ، فان طاعة الناس له واتباعهم اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه » . واوحى الله تعالى الى موسى وهرون لما ارسلهما الى فرعون : « لو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا ، يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتم لفعلت ، ولكني ارغب لكما عن ذلك وازوى ذلك عنكما ، وكذلك افعل بأوليائي ، اني لازويهم عن نعيمها ، كما يزوى الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة ، واني لاجنبهم عيش سلوتها ، كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مواقع الغرة ، وما ذلك لهوائهم علي ، ولكن

(٢٢) صححنا الحديث على الكافي في باب ذم الدنيا ، وصدر الحديث هكذا : « قال جابر : ذكرت على ابي جعفر - عليه السلام - فقال : يا جابر ! والله لمحزون ! واني لمشغول القلب ، قلت فذاك ! وما شغلك وما حزن قلبك . . . » الى آخر الحديث .

ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفورا ، انما يتزين إلي اوليائي : بالذل والخشوع والخوف والتقوى » . وقال الكاظم عليه السلام : « قال ابو ذر — رحمه الله — : جزي الله الدنيا عن مذمة بقدر رغيفين من الشعير ، اتعدى بأحدهما واتعشى بالآخر ، وبعد شلتي الصوف ، اتزر بأحدهما واتردى بالآخرى » . وقال لقمان لابنه : « يا بني ! بع دنيك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنيك تخسرهما جميعا » . وقال له : « يا بني ! ان الدنيا بحر عتيق ، وقد غرق فيها ناس كثير ، فلتكن سفيتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان ، وشرعها التوكل على الله ، لعلك فاج وما اراك ناجيا » . وقال : « يا بني ! ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم ، فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له ، وانما انت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه اجرا ، فاوف عهلك واستوف أجرك ، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فاكلت حتى سميت ، فكان حنقها عند سمنها ، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركنها ، ولم ترجع اليها آخر الدهر ، اخرجها ولا تعم ، فانك لم تؤمر بممارتها ، واعلم انك ستسأل غدا اذا وقعت بين يدي الله — عز وجل — عن اربع : ثيابك فيما ابلينته ، وعمرك فيما أقفيتها : ومالك مما اكتسبته ، وفيما اتفقته فتاهب لذلك ، واعد له جوابا ، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا . فان قليل الدنيا لا يدوم بقاءه . وكثيرها لا يؤمن بقاءه . فخذ حذرَكَ وجدني أمرَكَ واكشف الغطاء عن وجهك ، وتعرض لمعروف ربك ، وجدد التوبة في قلبك واكمش في فراغك قبل ان يقصد قصدك ، ويقضى قضاؤك ، ويحال بينك وبين ما تريد » .

وقال بعض الحكماء : « الدنيا دار خراب ، واخرب منها قلب من يعمرها . والجنة دار عمران ، وأعر منها قلب من يعمرها » . وقال بعضهم : « انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك ، ويكون له أهل بعدك ، وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم ، فلا تهلك نفسك في آكلة ، وصم الدنيا ، وافطر على الآخرة ، فان رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار » .

وقال بعض اكابر الزهاد : « الدنيا تخلق الابدان ، ونجدد الآمال ، وتقرب
 المنية ، وتبعد الأمنية ، ومن خفر بها تعب ، ومن فاتته نصب » . وقال بعضهم :
 « ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد التزق به شيء يسؤك » . وقال آخر :
 « لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث : انه لم يشبع مما
 جمع ، ولم يدرك ما امل ، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه » . وقال حكيم :
 « كانت الدنيا ولم اكن فيها ، وتذهب ولا اكون فيها ، فكيف اسكن اليها ،
 فان عيشها نكد ، وصفوها كدر ، واهلها منها على وجل ، اما بنعمة زائلة ،
 او بلية فازلة ، او منية قاضية » . وقال بعض العرفاء : « الدنيا حانوت
 الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئا ، فيجيء في طلبك ويأخذك » . وقال
 بعضهم : « لو كانت الدنيا من ذهب يفتنى والآخرة من خزف يبقى ، لكان
 ينبغي ان يختار العاقل خزفا يبقى على ذهب يفتنى ، فكيف والآخرة ذهب
 يبقى والدنيا ادون من خزف يفتنى ؟ » وقد ورد : « ان العبد اذا كان معظما
 للدنيا ، يوقف يوم القيامة ، ويقال : هذا عظم ما حقره الله » . وروى :
 « انه لما بعث النبي (ص) أتت ابليس جنوده ، فقالوا : قد بعث نبي واخرجت
 امة ، قال : يحبون الدنيا ؟ قالوا : نعم ! قال : ان كانوا يحبونها ما ابالي
 الا يعبدوا الاوثان ، وانا اغدو عليهم واروح بثلاثة : اخذ المال من غير حقه ،
 واتفاه في غير حقه ، وامسأكه عن حقه ، والشر كله لهذا تبع » . وروى :
 « انه اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه : احذر مقتك ، فتسقط من عيني ،
 فاصب عليك الدنيا حبا » . وقال بعض الصحابة : « ما اصبح أحد من
 الناس في الدنيا الا وهو ضيف ، وماله غارية ، فالضيف مرتحل ، والغارية
 مردودة » . وقال بعضهم : « ان الله جعل الدنيا ثلاثة اجزاء : جزء للمؤمن
 وجزء للمنافق ، وجزء للكافر . فالمؤمن يتزود ، والمنافق يتزين ، والكافر
 يتنفع » . وقيل : « من أقبل على الدنيا احرقته نيرانها حتى يصير رمادا ،
 ومن أقبل على الآخرة صفتته نيرانها فصار سبيكة ذهب يتنفع بها ، ومن أقبل
 على الله سبحانه ، احرقته نيران التوحيد ، فصار جوهر لا حد لقيمته » .
 وقيل أيضا : « العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل ان تتركه ، وبنى قبره
 قبل ان يدخله ، وارتضى خالقه قبل ان يلقاه » . وسأل بعض الامراء رجلا

بلغ عمره مائتي سنة عن الدنيا ، فقال : « سنيت بلاء ، وسنيت رخاء ، يوم فيوم ، ونيلة فليلة ، يولد ولد ، ويهلك هالك ، فقولوا المولود بئس الخلق ، وقولوا الهالك لفساقت الدنيا بسن فيها » ، فقال له الامير : سل ماشئت قال : « اريد منك أن ترد علي ماضى من عسري ، وتدفع عني ما حضر من أجلي » ، قال : « لا أملك ذلك » ، قال : « فلا حاجة لي عليك » .

والاخبار والآثار في ذم الدنيا وحبها ، وفي سرعة زوالها وعدم الاعتبار بها ، وفي هلاك من يطلبها ويرغب اليها ، وفي ضديتها للآخرة ، أكثر من أن تحصى . وما ورد في ذلك من كلام أئمتنا الراشدين ، (لا سيما عن مولانا أمير المؤمنين — صلوات الله عليهم أجمعين الى يوم الدين — فيه بلاغ لقوم زاهدين . ومن تأمل في خطب علي (ع) ومواعظه — كما في نهج البلاغة وغيره — يظهر له خسارة الدنيا ورذالتها . وقضية السؤال والجواب بين روح الامين وفروح في كيفية سرعة زوال الدنيا مشهورة ، وحكاية مرور روح الله على قرية هلك أهلها من حب الدنيا معروفة ^(٢٢) . ولعظم آفة الدنيا وحقارتها ومهانتها عند الله ، لم يرضها لاحد من اوليائه ، وحذرهم عن غوائلها ، فتزهدوا فيها وأكلوا منها قصدا ، وقدموا فضلا . أخذوا منها ما يكفي ، وتركوا ما يلهي . ولبسوا من الثياب ما ستر العورق وأكلوا من الطعام ما سد الجوع . نظروا الى الدنيا بعين أنها فانية ، وإلى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا منها كزاد الراكب ، فخرّبوا الدنيا وعسروا بها الآخرة ، ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعملوا انهم سينظرون اليها باعينهم ، فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بأبدانهم . صبروا قليلا ونعسوا طويلا .

فصل

خسائس صفات الدنيا

اعلم أن للدنيا صفات خسيصة قد مثلت في كل صفة بما تماثله فيها : فمثالها في سرعة الفناء والزوال وعدم الثبات : مثل النبات الذي يختلط به ماء السماء فاخضر ، ثم أصبح هشيمًا تذروه الرياح ، أو كمنزل ^(٢٣) ذكرها الكافي عن أبي عبدالله الصادق (ع) في باب حب الدنيا بتمامها .

نزله ثم ارتحلت عنه ، او كفتطرة تعبر عنها ولا تسكت عليها . وفي كونها مجرد الوهم والخيال ، وكونها مما لا أصل لها ولا حقيقة ، كفيء الفلاله أو خيالات المنام واضغات الأحلام ، فانك قد تجد في منامك ما تهواه ، فإذا استيقظت ليس معك منه شيء .

وفي عداوتها لأهلها وأهلها إياهم : بامرأة تزنت للخطاب ، حتى إذا تكتمهم ذبحتهم . فقد روى : « أن عيسى (ع) كوشف بالدنيا ، فرآها في صورة عجوز شسطاء هساء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتل ، فقال عيسى (ع) : يؤسا لا زواجك الباقيين ، كيف لا يعتبرون بالماضيين ؟ كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر ؟ » .

وفي مخالفة باطنها لظاهرها : كمجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها . فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ، ظهرت لهم قبايحها . روى : « أنه يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شسطاء زرقاء ، أتيابها بادية ، مشوه خلقها ، فتشرف على الخلائق ، ويقال لهم : تعرفون هذه ؟ فيقولون : نعمذ بالله من معرفة هذه ! فيقال : هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها ، وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغررتم ، ثم يقذف بها في جهنم فتنادى : أي رب ! اين اتباعي وأشياعي ؟ فيقول الله — عز وجل — : الحقوا بها اتباعها وأشياعها » .

وفي قصر عمرها لكل شخص بالنسبة الى ما تقدمه من الأزل وما يتأخر عنه من الأبد : كشل خطوة واحدة ، بل أقل من ذلك ، بالنسبة الى سفر طويل ، بل بالنسبة الى كل مسافة الأرض اضعافا غير متناهية . ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ، ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضيق وضر أو في سعة ورفاهية ، بل لا يبغي لينة على لينة . توفي سيد الرسل (ص) وما وضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة . ورأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص ، فقال : « أرى الامر أعجل من هذا » . وإلى هذا أشار عيسى (ع) حيث قال : « الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها » .

وفي نعومة ظاهرها وخشونة باطنها : مثل الحية التي يلين مسما

ويقتل سبها •

وفي قلة ما بقى منها بالاضافة الى ما سبق : مثل ثوب شق من اوله الى آخره ، فبقى متعلقا في آخره ، فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع •
وفي قلة نسبتها الى الآخرة : كمثل ما يجعل احد اصبعه في اليم ، فينظر به يرجع اليه من الأصل •

وفي لادية علاقتها بعض الى بعض حتى ينجر الى الهلاك : كبناء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله •

وفي لادية الحرص عليها الى الهلاك غبا : كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لقا كان ابعدها من الخروج حتى تسوت غما •

وفي تعذر الخلاص من تبعاتها واستحالة عدم التلوث بقاذوراتها بعد اخوض فيها كالماشى في الماء ، فانه يستنع الا تبطل قدماه •

وفي نضارة اولها وخباثة عاقبتها : كالاطعمة التي تؤكل ، فكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسومة كان رجيحه اقذر واشد اتسا بفكذلك كل شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب اشتهى واقوى ، فنتتها وكرهيتها والتأذي بها عند الموت اشد ، وهذا مشاهد في الدنيا • فان المصيبة والالم والتفجع في كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده وحرصه عليه وحب له ، ولذا ترى ان من نهبت داره واخذت اهله واولاده ، يكون تفجعه وامله اشد مما اذا اخذ عبد من عبيده ، فكل ما كان عند الوجود اشتهى عنده والذ ، فهو عند الفقد ادهى وامرء وما للسوت معنى الا فقد ما في الدنيا •

وفي تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها : مثل طبق ذهب عليه بخور ورياحين ، في دار رجل هياه فيها ، ودعا الناس على الترتيب واحدا بعد واحد ليدخلوا داره ، ويشسه كل واحد وينظر اليه ، ثم يتركه لمن يلحقه ، لاليتسلكه ويأخذه ، فدخل واحد وجهل رسه ، فظن انه قد وهب ذلك له ، فتعلق به قلبه ، لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر وتألم ، ومن كان عالما برسه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر • فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا ، علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين ليتنفعوا بها فيها ، كما ينتفع المسافر بالمعاري ، ثم يتركوها ويتوجهوا الى مقصدهم

من دون صرف قلوبهم اليها ، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها ، ومن جهل سنة الله فيها ، ظن أنها مملوكة له ، فيتعلق بها قلبه ، فلما أخذت منه عظمت بليته واشتدت مصيبته .

وفي اغترار الخلق بها وضعف ايمانهم بقوله تعالى في تحذيره ايساهم غوائلها : كسفازة غيراء لا نهاية لها ، سلكوها قوم وانهاوا فيها بلا زاد وماء وراحلة ، فأيقنوا بالهلاك ، فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم رجل وقال ارايتم ان هديتكم الى رياض خضر وماء رواء ما تعملون ؟ قالوا : لانعصيك في شيء . فأخذ منهم عهدا ومواثيق على ذلك ، فأوردهم ماء رواء ورياضا خضراء ، فمكث فيهم ما شاء الله ، ثم قال : الرحيل ! قالوا : الى أين ؟ قال : الى ماء ليس كمائكم ، والى رياض ليست كرياضكم . فقال اكثرهم : لانريد عيشا خيرا من هذا ، فلم يطيعوه . وقالت طائفة — وهم الاقلون — : ألم تعطوا هذا الرجل عهدكم ومواثيقكم بالله الا تعصوه ، وقد صدقكم في أول حديثه ؟ فوالله انه صادق في هذا الكلام ايضا ! فأتبعه هذا الاقل ، فذهب فيهم الى أن أوردهم في ماء ورياض أحسن بمراتب شتى مما كانوا فيه أولا ، وتخلف عنه الاكثرون ، فبدرهم غدو ، فأصبحوا من بين قتيل وأسير .

تذنيب

تشبيهات الدنيا واهنها

قد شبه بعض الحكماء حال الانسان واغتراره بالدنيا ، وغفلته عن الموت وما بعده من الالهوال ، وانهاكه في اللذات العاجلة الفانية المترجة بالكدورات : بشخص مدلي في بحر ، مشدود وسطه بحبل ، وفي أسفل ذلك البحر ثعبان عظيم متوجه اليه ، منتظر سقوطه ، فاتح فاه لالتقامه . وفي أعلى ذلك البحر جردان أبيض وأسود ، لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ، ولا يفتران عن قرضه آنا من الآفات ، وذلك الشخص ، مع أنه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فأنا ، قد اقبل على قليل غسل قد لطح به جدار ذلك البحر وامتزج بترابه واجتمعت عليه زنابير كثيرة ، وهو مشغول بقطعة منهك فيه ، ملتذ بما احسب منه مخلصا

لذلك الزناير عليه ، قد صرف باله باجمعه الى ذلك ، غير ملتفت الى ما فوقه
والى ما تحته . فالينر هو الدنيا ، والجبل هو العسر ، والشعبان الفاتح فاه
هو الموت ، والجرذان الليل والنهار اتقارضان للعسر ، والعسل المختلطة
بالتراب هو لذات الدنيا المستزجة بالكدورات والآلام ، والزناير هم أبناء
الدنيا المتزاحسون عليها .

وشبه بعض العرفاء الدنيا وأهلها ، في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن
الآخرة ، وحذرانهم العظيمة بعد الموت ، من فقدهم نعيم الجنة بسبب انفسارهم
في خمائس الدنيا : يقوم ركبوا السفينة ، فاقطعت بها الى جزيرة ، فأمرهم
الملاح بالخروج لقضاء الحاجة ، وحذرهم المقام فيها ، وخوفهم مرور السفينة
واستعجالها ، فتفرقوا في فواحي الجزيرة ، ففقد بعضهم حاجته ، وبادر
الى السفينة ، فصادف المقام خاليا ، فأخذ أوسع الأماكن وأوقفها بمراده .
وبعضهم توقف في الجزيرة ، واشتغل بالنظر الى أزهارها وانوارها واشجارها
واحجارها ونفحات طيورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة ، فرجع اليها ،
فلم يصادف الا مكانا ضيقا ، فاستقر فيه . وبعضهم ، بعد التنبيه لخطر
مرور السفينة ، لما تعلق قلبه ببعض احجار الجزيرة وازهارها وثمارها ، ثم
تسمح نفسه باهمالها ، فاستصحب منها حيلة ورجع الى السفينة ، فلم
يجد فيها الا مكانا ضيقا لا يسهه الا بالتكلف والمشقة ، وليس فيه مكان
لوضع ما حمله ، فصار ذلك ثقلا عليه ووبالا ، فندم على أخذها ، ولم يقدر
على رميها ، فحصلها في السفينة على عنقه متأسفا على أخذها ، وبعضهم
اشتغل بشاهدة الجزيرة ، بحيث لم ينتبه اولا من خطر مرور السفينة ومن
نداء الملاح ، حتى امتلأت السفينة ، فتنبه اخيرا ورجع اليها ، مثقلا بما حمله
من احجار الجزيرة وحشائشها ، ولما وصل الى شاطئ البحر سارت السفينة
ولم يجد فيها موقعا أصلا ، فبقى على شاطئ البحر . وبعضهم لكثرة
الاشتغال بشاهدة الجزيرة وما فيها نسوا المركب بالمرّة ، ولم يلبثهم النداء
أصلا ، لكثرة انفسارهم في أكل الشار وشرب المياه والتسليم بالانوار والازهار
والنفوح بين الاشجار ، فسارت السفينة وبقوا في الجزيرة من دون تنبيههم
بخطر مرورها ، فتفرقوا فيها ، فبعضهم نهشته العقارب والحيات ، وبعضهم

افترسته السباع ، وبعضهم مات في الاوحال ، وبعضهم هلك من التدامة
والحسرة والغصة . واما من بقى على شاطئ البحر فبات جوعا ، واما من
وصل الى المركب مثقالا بما اخذه ، فشغله الحزن بحفظها والخوف من قوتها
وقد ضيق عليه مكانه ، فلم يلبث ان ذبلت ما اخذه من الازهار ، وغفت
الشرا ، وكمدت الوان الاحجار ، فظهرت روائحها فتأذى من تن روائحها
ولم يقدر على القائها في البحر لصيرورتها جزءا من بدنه ، وقد اثر فيه ما
أكل منها ، ولم ينته الى الوطن الا بعد احاطة الامراض والاستقام عليه لاجل
ما لم ينفك عنه من التن ، فبلغ اليه سقيما مدقا ، فبقى على سقمه أبدا ،
او مات بعد مدة . واما من رجع الى المركب بعد تضيق المكان ، فما قاله
الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لما وصل الى الوطن استراح
ومن رجع اليه اولا ووجد المكان الاوسع فلم يتأذى من شيء اصلا ووصل
الى الوطن سالما . فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحفظ وطلبهم
العاجلة ، ونسيانهم وطنهم الحقيقي ، وغفلتهم عن عاقبة امرهم . وما اقبل
بالعقل البصير ان تعرفه بأحجار الارض وهشيم التبت ، مع مفارقتها عند
الموت وصيرورته كلا ووبالا عليه .

فصل

عاقبة حب الدنيا وبغضها

اعلم انه لا يبلغ مع العبد عند الموت الا صفاء القلب ، اعني طهارته
عن ادناس الدنيا وحبها لله وائسه بذكره ، وصفاء القلب وطهارته لا يحصل
الا بالكف عن شهوات الدنيا ، والحب لا يحصل الا بالمعرفة ، والمعرفة لا
تحصل الا بدوام الفكرة ، والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة
عليه ، وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعديات بعد الموت ، وهي
الباقيات الصالحات .

اما طهارة القلب عن ادناس الدنيا ، فهي الجنة بين العبد وبين عذاب
الله ، كما ورد في الخبر : « ان اعمال العبد تناضل عنه ، فاذا جاء العذاب
من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه ، واذا جاء من قبل يديه جاءت
الصدقة تدفع عنه ... » الحديث .

وأما الحب والانس ، فهوما يوصلان العبد الى اذنة المشاهدة واللقاء ، وهذه المساعدة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة ، فيصير القبر روضة من رياض الجنة ، وكيف لا يصل صاحب الصفات الثلاث بعد موته غاية البهجة ونهاية اللذة بمشاهدة جمال الحق ، ولا يكون القبر عليه روضة من الرياض البلد ، ولم يكن له الا محبوب واحد ، وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله ، وبالموت ارتفعت العوائق وافتت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع التي من الفراق؟ وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد تحسنت منه وحيل بينه وبينها ، وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ؟ وليس الموت عدما ، اما هو ففراق لمحبه الدنيا وقدموم على الله ، فاذن سالك طريق الآخرة هو الموانع على سبب هذه الصفات الثلاث ، وهي الذكر ، والتذكر ، والعمل الذي يقطع عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يسكن الا بصحة البدن ، وصحة البدن لا تنال الا بانقوت والملبس والمسكن ، ويحتاج كل واحد الى اسباب ، فالتقوى الذي لا بد منه من هذه الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الآخرة ، وان اخذ ذلك على قصد التنعم وحفظ النفس صار من ابناء الدنيا والرافعين في حظوظها ، الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الآخرة ، وسمى ذلك حراما ، والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ، وسمى ذلك حلالا ، والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة ايضا عذاب ، فمن توفش في الحساب عذب ، ولذلك قال رسول الله (ص) : « في حلالها حساب وفي حرامها عقاب » ، بل لو لم يكن الحساب لكان ما يقوت عن الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تقويتها بحظوظ حقيرة خسيمة لابقاء لها ، هو ايضا عذاب .

ويرشدك الى ذلك حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقراءك ، وقد سبقوك الى السعادات الدنيوية ، كيف ينقطع قلبك عليها حسرات ، مع علمك بأنها سعادات متصرمة لابقاء لها ، ومنغصة بكدورات لاصفاء لها ، فما حالك

في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمها وتقطع الازدهار والدهور دون غايتها ؟ وكل من تنعم في الدنيا ، ولو بسباع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او بشرية ماء بارد ، فهو يتقص من حظه في الآخرة ، والتعرض لجواب السؤال فيه ذل ، وحذر ، وخوف ، وخطر ، وسخط ، وانكسار ، ومشقة ، وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ .

فالدنيا — قليتها وكثيرها ، حلالها وحرامها — ملعونة ، الا ما أعان على تقوى الله ، فان ذلك القدر ليس من الدنيا . وكل من كانت معرفته أقوى واتم كان حذره من نعيم الدنيا أشد وأعظم . حتى ان عيسى (ع) وضع رأسه على حجر لما قام تم رمى به ، اذ تسئل له ابليس وقال : رغبت في الدنيا . وحتى ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الثامن من لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير ، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة ، فان الصبر من لذيذ الاطعمة مع وجودها أشد . ولذا زوى الله تعالى الدنيا على نبينا (ص) فكان يطوي أياما ، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ، ولذا سلط الله المحن والبلاء على الانبياء والاولياء ، ثم الامثل فالامثل في درجات العلى . كل ذلك نظرا لهم وامتناقا عليهم ، ليتوفر من الآخرة حظهم ، كما ينفع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواكه والاطعمة ويلزمه القصد والحجامة ، شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه . وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا .

ثم الاشياء على اقسام ثلاثة :

(الاول) ما لا يتصور ان يكون لله ، بل من الدنيا صورة ومعنى ، وهي انواع المعاصي والمحظورات واصناف التمتع بالمباحات ، وهي الدنيا المحضة المذمومة على الاطلاق .

(الثاني) ما صورته من الدنيا ، كالاكل والنوم والنكاح وامثالها ، ويمكن ان يجعل معناه لله ، فانه يمكن ان يكون المقصود منه حظ النفس ، فيكون معناه كصورته أيضا من الدنيا ، ويمكن ان يكون المقصود منه الاستعانة على التقوى ، فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا ، قال رسول الله (ص) : « من طلب من الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله

وهو عليه غضبان ومن طلبها استغفانا عن المسألة وبياناً لنفسه جاء يوم
القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر .

(الثالثة) ما صورته الله ، ويسكن ان يجعل معناه من الدنيا بالقصد ،
وهو ترك الشهوات ، وتحصيل العلم ، وعمل الطاعات والعبادات . فهذا
الثلاث اذا لم يكن لها باعث سوى امر الله واليوم والآخر فهي ته صورة
ومعنى . ولم تكن من الدنيا تحسلاً ، وان كان الغرض منها حفظ المال والحياة
والاشتهار بزهد والورع وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة بنار من
الدنيا معنى وان كان يقن بصورته انه الله
ومنها :

حب المال

وهو من شعب حب الدنيا اذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ عاجل .
والمال بعض اجزاء الدنيا ، كما ان الجاد بعضها . واتباع شهوة البطن والفرج
بعضها ، وتشمي الغيظ بحكم الغضب والحمد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها
وبالجملة : لها ابعاد كثيرة يجتمعها كل مالا انسان فيه حظ عاجل ،
فاثبات الدنيا كثيرة الشعب والارضاء ، واسعة الارضاء والاكتاف ، ولكن
اعظم آفاتنا المنغلة بالقوة الشهوية هو (المال) ، اذ كل ذي روح محتاج اليه
ولا غنا له عنه ، فان فقد حصل الفقر الذي يكاد ان يكون كفراً ، وان
وجد حصل منه الانيال الذي لا تكون عاقبة امره الا خسراً ، فهو لا يخلو
من فوائد وآفات وفوائده من المنجيات وآفاته من المهلكات ، وتيسر خيرها
وشرها من المشكلات ، اذ من فقدته تحصل صفة الفقر ، ومن وجوده تحصل
صفة الغنا وهما حالتان يحصل بهما الامتحان .

ثم (للفاقد) حالتان : القناعة ، والحرص . واحدهما محمودة
والاخرى مذمومة . و (للحرص) حالتان : تشمر للحرص والصنائع مع
اليأس عن الخلق ، وتسلع بما في أيديهم . واحدى الحالتين شر من الاخرى
و (للواجد) حالتان : امساك ، وانفاق . واحدهما مذموم والاخر مدح .
و (للمنفق) حالتان : اسراف ، واقتصاد . والاول مذموم والثاني مدح .
وهذه امور متشابهة لا بد أولاً من تمييزها ، ثم الاخذ بمحمودها والترك

لأذمومها : حتى تحصل النجاة من غوائل المال وغفلتها . ومن هنا قال بعض
الأكابر : الدرهم تقرب . فإن لم تحصل رقيقته فلا تأخذه : فإنه إن لدغك
قتلك سمه . قيل وما رقيقته ؟ قال : أخذه من حله : ووضعته في حقه

فصل

دم المال

الكتاب والسنة متظاهران في دم المال وكرهه حبه . قال الله سبحانه :
« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فأولئك هم الخاسرون » (٢٤) . وقال : « وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم
فتنة » (٢٥) . وقال : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ... » الآية (٢٦) .
قال رسول الله (ص) : « حب المال والشرف ينبئان النفاق . »
ينبت الماء البقل . وقال (ص) : « مادنيان ضاريان أرسلني في زريه غم
بأكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم » . وقال : « شر امتي
الانغياة » . وقال (ص) : « يقول الله - تعالى - : يا ابن آدم ! مالي ،
مالي ! وهل لك إلا من مالك إلا ما تصدقت فأعطيت . لو أدت قضيت . ر
ليست فأبليت ؟ » وقال (ص) : « أخلاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه إلى
قبض روحه وهو ماله . وواحد يتبعه إلى قبره وهو أهله . وواحد يتبعه
إلى محشره وهو عمله » . وقال (ص) : يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع
الله فيها وماله بين يديه . كلما يكفأ به الصراط قال له ماله : أفضى وقد
أديت حق الله في . ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين
كفيه : كلما يكفأ به الصراط قال ماله : ويلك ! ألا أديت حق الله في ؟ ...
فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل » . وقال (ص) : « إن الدينار
والدرهم أهلكما من كان قبلكم ، وهما مهلكاكم » . وقال (ص) : « لكل
أمة عجل » وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » . وقال (ص) : « يؤتى
برجل يوم القيامة : وقد جمع مالا من حرام وافقه في حرام . فيقال : أذهبوا

(٢٤) المنافقون : الآية : ٩ .

(٢٥) الانفال : الآية : ٢٨ .

(٢٦) الكهف : الآية : ٤٧ .

به إلى النار . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفق في حرام ، فيقال : اذهبوا به إلى النار . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفق في حلال ، فيقال : اذهبوا به إلى النار . ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفق في حلال ، فيقال له : قف لعلك قصرت في طلب هذا شيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها ، وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول : لا يارب ! كسبت من حلال وانفقت في حلال ، ولم اضيع شيئا فرضت ، فيقال : لعلك اختلفت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به . لا يارب ! لم اخل ولم اباذ في شيء ، فيقال : لعلك منعت حق أحد امرئك ان يعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فيقول : لا يارب ! لم اضيع حق أحد أمرئي ان اعطيه . فيجيء . ولذك فيخاصمونه فيقولون : يارب اعطيتك واغنيتك وجعلته بين أظهرنا وأمرته ان يعطينا ، فان كان قد اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يخل في شيء ، فيقال : قف الآن هات شكر نعمة اعمتها عليك من أكلة او شربة او لقمة او لذة . . . فلا يزال يسأل .

فليت شعري — يا أخي — ان الرجل الذي فعل في الحلال ، وأدى الفرائض بحدودها ، وقام بالحقوق كلها اذا حوسب بهذه المحاسبة فكيف يكون حال امثاله الغرقى في فتن الدنيا وتغليبها ، وشبهاتها وشهواتها وزينتها ، فيألها من مصيبة ما فاعها ، ورزية ما أجلها ، وحسرة ما أعظمها : ولخوف هذا الخطر قال بعض الصحابة : « ما يسرني ان اكتسب كل

لا ندري ما تفعل بنا الدنيا غدا في الموقف عند يدي الجبار . يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ، ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة » قالوا له : ولم ذلك رحمتك الله ؟ قال : « لأنني غني عن مقامي يوم القيامة ، فيقول الله : — عبدي من ان اكتسبت وفي أي شيء انفقت ؟ » فيبغى لكل مؤمن بقي ألا يتلبس بالدنيا ، فيرضى بالكفاف ، وان كان معه فضل فليقدمه لنفسه ، ان لو بقي بعده لكان له مفسد وآفات . روى « أنه قال رجل : يا رسول الله ، مالي لأحب الموت ؟ فقال هل معك من مال ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : قدم مالك امامك ، فان قلب المؤمن مع

ماله ، ان قدمه أحب أن يلحقه . وان خلفه أحب ان يتخلف معه .
 ووضع أمير المؤمنين (ع) درهما على كفه ، ثم قال : « اما انك مالهم تخرج
 عني لاتنفعي » . وروى : « ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما
 إبليس ، ثم وضعهما على جبهته ، ثم قبلهما وقال : من أحبكما فهو عبدي
 حقا » . وقال غيسى (ع) : « لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا ، فان برق
 أموالهم يذهب بنور إيمانكم » . وقال بعض الاكابر : « مصيبتان لم يسع
 الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته » ، قيل : وماها ؟ قال :
 « يؤخذ منه كله . ويسأل عنه كله » .

ثم جميع ما ورد في ذم الغنى ومدح الفقر كما يأتي بعضه . وجميع
 ما ورد في ذم الدنيا — كما تقدم بعضه — يتناول ذم المال ، لانه أعظم
 أركان الدنيا .

فصل

الجمع بين ذم المال ومدحه

اعلم أنه كما ورد ذم المال في الآيات والاخبار ورد مدحه فيهما أيضا
 وقد سماه الله خيرا في مواضع ، فقال :
 « ان ترك خيرا الوصية ... » (٢٧) . وقال في مقام الامتنان : « ويمدكم
 بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » (٢٨) .
 وقال رسول الله (ص) : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .
 وكل ما جاء في ثواب الصدقة ، والضيافة ، والسخاء ، والحج ، وغير ذلك
 مما لا يسكن الوصول اليه الا بالمال ، فهو ثناء عليه .

ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذمة هو : أن المال قد يكون
 وسيلة الى مقصود صحيح هو السعادة الآخروية ، اذ الوسائل اليها في الدنيا
 ثلاث : وهي : الفضائل النفسية ، والفضائل البدنية ، والفضائل الخارجية
 التي عمدتها المال . وقد يكون وسيلة الى مقاصد خاسدة ، وهي المقاصد
 الصادة عن السعادة الآخروية والحياة الابدية ، والصادة سبيل العلم والعمل .

(٢٧) البقرة ، الآية : ١٨٠ .

(٢٨) نوح ، الآية : ١٢ .

فهو اذن محسود ومذموم بالاضافة الى المقصودين . فالظاهر الذمة محمولة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد فاسدة ، والمادحة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد صحيحة . ولما كانت الطبايع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله ، وكان المال سهلا لها وآلة اليها ، عظم الخطر في ما يزيد على قدر الكفاية ، فاستعاذ طوائف الانبياء والاولياء من شره ، حتى نال نبينا (ص) : « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا » . وقال (ص) : « اللهم احيني مسكينا وامتي مسكينا » .

فصل

غوائل المال وقوائده

قد ظهر مما ذكر : ان المال مثل حية فيها سم وترياق ، فقوائله سمه ، وقوائده وترياقه . فمن عرفها أمكنه ان يحتراز من شره ويستدر منه خيره . وليبان ذلك نقول : ان غوائله اما دنيوية او دينية :

والدنيوية : هي ما يقاسيه ارباب الاموال : من الخوف ، والحزن ، والهم ، والفقر ، وتفرق الخيال ، وسوء العيش ، والتعب في كسب الاموال وحفظها ، ودفع الحساد وكيد الظالمين ، وغير ذلك .
والدينية : ثلاثة أنواع :

اولها - اداؤه الى المعصية . اذ المال من الوسائل الى المعاصي ، ونوع من القدرة المحركة لدواعيتها . فاذا استشعرها الانسان من نفسه ، انبعثت الداعية ، واقتحم في المعاصي ، وارتكب انواع الفجور . ومهما كان آيسا عن القدرة لم يتحرك داعية اليها . اذ العجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ، ومن العصية الا يقدر ، واما مع القدرة ، فان اقتحم ما يشتهي هلك ، وان صبر وقع في شدة . اذ الصبر مع القدرة أشد . وفتنة السراء من فتنة الضراء أعظم .

وثانيها - اداؤه الى التمتع في المباحات . فان الغالب ان صاحب المال يتنعم بالدنيا ويمر عليه فتنه ، فيصير التمتع محبوبا عنده مألوفاً ، بحيث لا يصبر عنه ، ويجره البعض منه الى البعض . واذا اشتد الله به وصار عادة له . ربما لم يقدر عليه من الحلال ، فيقتحم في الشبهات ويخوض في

المحرمات : من الخيانة ، والظلم ، والغصب ، والرياء ، والكذب ، والنفاق ،
والمداهنة ، وسائر الاخلاق المهلكة ، والاشغال الرديئة ، لينتظم أمر دنياء
ويتيسر له تنعته . وما أقل لصاحب الثروة والمال ألا يصير التمتع مألوفا
له . إذ متى يقدر أن يقنع بخبز الشعير ولبس الخشن وترك لذته الاطعمة
بأسرها ، فافسا ذلك شأن نادر من أولي النفوس القوية القديمة . كسليمان
بن داود (ع) وأمثاله . على أن من كثر ماله ثرت حاجته الى الناس .
ومن احتاج الى الناس فلا بد أن ينافقهم ويخطئ الله في طلب رضاهم . فإن
سلم من الآفة الاولى . أعني مباشرة المحرمات : فلا يسلم من هذه أصلا .
ومن الحاجة الى الناس ثور العداوة والعداقة . ويحصل العقد . والحمد
والكبر ، والرياء ، والكذب ، والغيبة ، والبهتان ، والنسيئة ، وسائر معاصي
القلب واللسان . وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه .
وثالثها — وهو الذي لا ينفك عنه أحد من أرباب الاموال ، وهو أنه
يلتزمه اصلاح ماله وحفظه عن ذكر الله تعالى ، وكل ما يشغل العبد عن الله
تعالى فهو خسران ووبال . ولذا قال روح الله (ع) : « في المال ثلاث
آفات : ان يأخذه من غير حقه » ، فقيل : ان يأخذه من حقه ؟ قال : « يضعه
في غير حقه » ، فقيل : ان يضعه في حقه ؟ فقال : « يشغله اصلاحه عن
الله » . وهذا هو انداء العضال . إذ أصل العبادات وروحها وحقيقتها هو
الذكر والفكر في جلال الله تعالى . وذلك يستدعي قلبا فارغا . وصاحب
الضيعة يصبح ويسبي متفكرا في خصومة الفلاح ومحاببته وخيائته ، ومنازعة
الشركاء وخصومتهم في المال والحدود ، وخصومة أعوان السلطان في الخراج
وخصومة الاجراء في التقصير في العساة وغير ذلك . وصاحب التجارة يكون
متفكرا في خيانة الشركاء وأفرادهم بأرباح وتقصيرهم في العمل وتضييعهم
المال ، ويكون غالبا في بلاد الغربة متفرقا عنهم محزون القلب من كساد
ما يصحبه من مال التجارة . وكذلك صاحب المواشي وغيره من أرباب
أصناف الاموال . وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنون تحت الارض .
وصاحبه أيضا لا يزال متفكرا مترددا فيما يصرف اليه ، وفي كيفية حفظه .
وفي الخوف من يعثر عليه . وفي دفع طمع الخلق منه . وبالجملة : أودية

افكار اهل الدنيا لانهاية لها ، والذي ليس معه الا قوت يومه او سنته ، ولا يطلب ازيد من ذلك ، فهو في سلامة من جميع ذلك .

وأما فوائده : فهي أيضا دنيوية ودينية :

أما الدنيوية : فهي ما يتعلق بالحظوظ العاجلة : من الخلاص من ذل السؤال ، وحقارة الفقر ، والوصول الى العز والمجد بين الخلق ، وكثرة الاخوان والاصدقاء والاعوان ، وحصول الوقار والكرامة في القلوب .

وأما الدينية : فثلاثة أنواع :

أولها - أن ينقته على نفسه في عبادة ، كالحج والجهاد ، أو فيما يقوى على العبادة ، كالمطعم والملبس والسكن .

وثانيها - أن يصرفه الى أشخاص معينة : كالصدقة ، والمروءة ، ووقاية العرض ، واجرة الاستخدام . وأما الصدقة بأنواعها ، فلا يحصى ثوابها وربما تشير الى فضيلتها في موضعها . وما المروءة ، وتعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة أو هدية أو اعانة وما يجري مجراها مما يكتسبه الاخوان والاصدقاء ولا يجلب به صفة الجود والسخاء ، اذ لا يتصف بالجود الا من يضطغ المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروءة ، فلا ريب في كونه مما يعظم ثوابه . فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام ، من غير اشتراط الفقر والعاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض ، وتعني بها بذل المال لدفع ثلب السفهاء ، وهجو الشعراء ، وقطع السنة الزاحشين والمفتابين ، ومنع شر الظالمين وأمثال ذلك ، فهو أيضا من القوائد الدينية . قال رسول الله (ص) : « ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة » . وأما أجره الاستخدام ، فلا ريب في اعاقته على أمور الدين ، اذ الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة أسباب كثيرة ، ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ، ومن لا مال له يحتاج ان يتولى بنفسه جميع الاعمال التي يحتاج اليها في الدنيا ، حتى نسخ الكتاب الذي يقتدر اليه ، وكل ما يتصور ان يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران وفدامة .

وثالثها - ان يصرفه الى غير معين يحصل به خير عام ، وهي الخيرات

الجارية : من بناء المساجد ، والمدارس ، والقناطر ، والرباطات ، ونصب الخشب في الطرق ، واجراء القنوات ، ونسخ المصاحف والكتب العلمية وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة ، الدائرة بعد الموت ، المستجبة ببركة ادعية الصالحين الى أوقات متسدية .

فصل الاموال المنجية من غوائل المال

من أواد النجاة من غوائل المال ، فليحافظ على أمور :
الاول - أن يعرف مقصود المال وباعث خلقه وعلة الاحتياج إليه ؛ حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا وقدّر حاجته .

الثاني - أن يراعى جهة دخله ؛ فيجتنب الحرام والمشتبه ؛ والجهات المكروهة القاذحة في المروءة والحرية ؛ كالهدايا المشوية بالرشوة ؛ والسؤال الذي فيه الانكسار والذلة .

الثالث - أن يراعى جهة الخرج ، ويقتصد في الاتفاق ؛ غير مبذر ولا مقرر . قال الله تعالى :

« **والذين اذا اتفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » (٢٩) .
وقال النبي (ص) : « ما عال من اقتصد » . ثم للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلاث : أدنى وأوسط وأعلى ، وربما كان الميل الى الاولى اخرى وأولى ، ليندل في زمرة المخفين يوم القيامة .

الرابع - أن يضع ما إكتسبه من حله في حقه ، ولا يضعه في غير حقه فان الائم في الاخذ من غير حله والوضع في غير حقه سواء .

الخامس - أن يصلح نيته في الاخذ والترك والاتفاق والامسك ، فيأخذ ما يأخذ استعانة به على ما خلق لأجله ، ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واجتنابا عن وزره وثقله ، وإذا فعل ذلك لم يضره وجوده . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لو أن رجلا أخذ جميع ما في الارض وأراد به وجه الله فهو زاهد ، ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد » .

فينبغي لكل مؤمن ان يكون باعث جميع افعاله التقرب الى الله ليصير
الجسيع عبادة . فان أبعد الافعال عن العبادة الاكبر والوقاع وقضاء الحاجة ،
ويصير بالقصد عبادة . فمن أخذ من المال ما يحتاج اليه في طريق الدين .
وبذل ما فضل منه على اخوانه المؤمنين ، فهو الذي أخذ من حية المال تزيانها
واتقى سبها . فلا تضره كثرة المال . الا أنه لا ينأى ذلك الا لمن كثر علمه
واستحكمت في الدين قدمه . والعامي اذا يشتبه به في الاستكثار من المال ،
فشأنه شأن الصبي الذي يرى المعزم العاذق يأخذ بالحية ويتصرف بها ليأخذ
تزيانها ، فيقتدي به ويأخذ مستحسنها صورتها وتكملها ومستلينا جلد هافقتة
في الحال . الا أن قتل الحية يدري أنه قتل ، وقتل المال قد لا يعرف
ذلك . وكما يتسنع أن يشبه الأعشى البصير في التخفي قتل الجبال والطراف
البحار والطرق المشوكة ، فيستع أن يشبه العامي الجاهل بالعالم الكامل
في الاستكثار من مال .

فصل

الزهد

ضد حب الدنيا والرغبة اليها (الزهد) . وهو الا يريد الدنيا بقلبه
وتركها بجوارحه ، الا بقدر ضرورة بدنه . وبعبارة اخرى : هو الاعراض
من متاع الدنيا وطياتها : من الاموال والمناصب وسائر ما يزول بالموت .
وبتقرير آخر : هو الرغبة عن الدنيا عدولا الى الآخرة ، او عن غير الله .
عدولا الى الله ، وهو الدرجة العليا . فمن رغب عن كل ما سوى الله حتى
الفراديس ، ولم يحب الا الله ، فهو الزهد المطلق . ومن رغب عن حظوظ
الدنيا خوفا من النار او طمعا في نعيم الجنة . من الخور والقصور والقواكه
والانهار ، فهو أيضا زاهد ، ولكنه دون الاول . ومن ترك بعض حظوظ
الدنيا دون بعض ، كالذي يترك المال دون الجاه ، او يترك التوسع في الاكل
دون التجميل في الزينة ، لا يستحق اسم الزاهد مطلقا .

وبما ذكر يظهر : أن الزهد انما يتحقق اذا تمكن من نيل الدنيا وتركها
وكان باعث التترك هو حقارة المرغوب عنه وخيباسته ، اعني الدنيا بالاضافة
الى المرغوب اليه وهو الله والدار الآخرة . فلو كان التترك لعدم قدرته

عليها ، أو لغرض غير الله تعالى وغير الدار الآخرة ، من حسن الذكر .
واستمالة القلوب ؛ أو الاشتهار بالفتوة والسخاء ؛ أو الاستئصال لما في حفظ
الاموال من المشقة والعناء أو أمثال ذلك . لم يكن من الزهد أصلا .

فصل مدح الزهد

الزهد أحد منازل الدين وأعلى مقامات السالكين . قال الله سبحانه :
« فخرج على قومه في زينته ... وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير » (٣٠) .

فنسب الزهد إلى العلماء ، ووصف أهله بالعلم ، وهو غاية المدح . وقال :
« ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » (٣١) . وقال : « ومن يريد حرث الدنيا
يؤته منها وما له في الآخرة من نصيب » (٣٢) .

وقال رسول الله (ص) : « من أصبح وهمه الدنيا ، شئت الله عليه امره
وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه . ولم يؤته من الدنيا الا ما كتب
له . ومن أصبح وهمه الآخرة ، جمع الله له همه . وحفظ عليه ضيعته ،
وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة » . وقال (ص) : « اذرايتم
العبد قد اعطى سمنا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه ، فانه يلقي الحكمة » .
وقال (ص) : « من أراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم ، وهدي بغير هداية .
فليزهد في الدنيا » . وقال (ص) : « ازهد في الدنيا يحبك الله . وازهد
فيها في ايدي الناس يحبك الناس » . وقال (ص) لأمير المؤمنين عليه السلام
« يا علي ، من عرضت له دنياه وآخרתها فاختار الآخرة وترك الدنيا فله الجنة
ومن اختار الدنيا استخفافا بآخרתها فله النار » وقال (ص) : « سيكون
بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى الا بالفخر
والبخل ، ولا المحبة الا باتباع الهوى . الا فمن أدرك ذلك الزمان منكم .

(٣٠) القصص ، الآية : ٧٩ - ٨٠ .

(٣١) طه ، الآية : ١٣ .

(٣٢) الشورى ، الآية : ٢٠ .

فصبر على الفقر وهو يقدر على الغناء . وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة
وصبر على الذل وهو يقدر على العز ، لا يريد بذلك إلا وجه الله اعطاء
الله ثواب حسين صديقاً . وقال (ص) : بعدما سئل عن معنى شرح الصدر
للامام : « ان النور اذا دخل القاب الشرح له وانفسح » . قيل : يا
رسول الله ! وهل لذلك من علامة ؟ قال : « نعم ! التجافي عن دار الغرور :
والانابة الى دار الخلود ، والاستعداد للبوت قبل نزولته » . وقال (ص) :
« استحيوا من الله حق الحياء » . قالوا : انا نستحي منه تعالى فقال :
« فليس كذلك ، تبون مالا تسكنون . وتجسمون مالا تاكلون » . وروي
« انه قدم عليه بعض الوفود وقالوا : انا مؤمنون . قال : وما علامة ايمانكم ؟
فذكروا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضى بمواقع القضاء ،
وترك الشهادة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء . فقال (ص) : ان كنتم كذلك :
فلا تجسموا مالا تاكلون ، ولا تبوا مالا تسكنون . ولا تنفسوا فيما
منه ترحلون » . فجعل الزهد من مكملات ايمانهم . وقال (ص) : « من
جاء بلا اله الا الله : لا يخلد معها غيرها : وجبت له الجنة » . وفسر
(غيرها) بحب الدنيا وطلبها . وقال (ص) : « من زهد في الدنيا ادخل
الله الحكمة قلبه ، فانطق بها لسانه ، وعرفه دار الدنيا ودواءها : واخرجه
منها سالماً الى دار السلام » . وروي : « ان بعض زوجاته بكى من رأت
به من الجوع ، وقالت له : يا رسول الله : ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ فقال
والذي نفسي بيده ! لو سألت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهباً لاجراها
حيث شئت من الارض ، ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر
الدنيا على غنائها ، وحزن الدنيا على فرحها . ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا آل
محمد . ان الله يرضى لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه
الدنيا والصبر على محبوبها ، ثم لم يرض لي الا أن تكلفني مثل ما كلفهم
« فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل » (٣٣) .

فقال :

والله ما لي بد من طاعته ! واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا

قوة إلا بالله . وقال (ص) : « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون
الا يعرف أحب اليه من أن يعرف . وحتى يكون فله الشيء أحب اليه من
كثرته . » وقال (ص) : « اذا أراد الله بعبد خيرا . زهده في الدنيا . ورغبه
في الآخرة . وبصره بعيوب نفسه . » وقال (ص) : « من استاق الى الجنة
سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهي عن الشهوات ومن قرب الموت
ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » وقال (ص) : ان
ربي عز وجل عرض علي ان يجعل لي بطعام مكة ذبيبا . فقلت : لا يا رب . ولكن اجوع
يوما واشبع يوما . فأما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك يوما
اليوم الذي أشبع فيه فأحسدك وأتيت عليك . » وروي : « انه (ص) : خرج
ذات يوم يشي ومعه جبرئيل . فصعد على الصفا . فقال له رسول الله (ص) :
يا جبرئيل . والذي بعثك بالحق مامسى لآل محمد كف سوق ولا سفة
دقيق فلم يتم كلامه بأسرع من أن سيع هدة من السماء فزغته . فقال
رسول الله (ص) : امر الله القيامة أن تقوم ؟ قال : لا ! ولكن هذا اسرافيل
عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك . فأنابه اسرافيل : فقال : ان الله
عز وجل سمع ما ذكرت . فبعثني بفتاح الارض . وامرني ان اعرض عليك
ان أحببت ان اسير معك جبال نهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فقلت : وان
شئت نبيا ملكا . وان شئت نبيا عبدا . — فأومأ اليه جبرئيل أن تواضع لله .
فقال : « نبيا عبدا : ثلاثا » . وقال (ص) : « قال الله تعالى : ان من اغبط
أوليائي عندي رجلا حفيف الحال ذا حظ . من صلاة . أحسن عبادة رب
بالغيب . وكان غامضا في الناس . جعل رزقه كفافا فصبر عليه . عجلت
منيته فقل ترائه وقل بواكيه ^(٢٤) . وعن علي بن الحسين — صلوات الله
عليهما — قال : « مر رسول الله (ص) : براعي ابل . فبعث يستسقيه .
فقال : أما مافي ضروعها فصبوح الحي . وأما في آفيتها فغبوقهم . » فقال
رسول الله (ص) : اللهم كثر ماله وولده . ثم مر براعي غنم فبعث اليه
يستسقيه . فحلب له مافي ضروعها واكفأ مافي انائه في اناء رسول الله (ص)
وبعث اليه بشاة . وقال : هذا ما عندنا . وان أحببت أن تزيدك زدناك قال رسول

(٢٤) صححنا الحديث على (الكافي) : باب الكفاف . قال في (الوافي) :
الخفيف — بالمهمله — : العيش السوء وقلة المال . والغامض : الخامل الدليل .

الله (ص) : اللهم ارزقه لكفاف . فقال له بعض اصحابه : يا رسول الله . دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نجية . ودعوت للذي أسعفتك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه . فقال رسول الله (ص) : ان ماقل وقلني خير مما كثر والهي . اللهم أرزق محمدا وآل محمد الكفاف . (٣٥) . وقال أمير المؤمنين (ع) : « الناس ثلاثة : زاهد . وصابر . وراغب . فما الزاهد . فقد خرجت الاجزان والافراح من قلبه . فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا يأتي على شيء منها فاته . مستريح . وأما الصابر . قاله يتساقط بقلبه . فإذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء ظانيتها وشناعتها . وأما الراغب . فلا يبالي من أين جاءته الدنيا . من حلها أو حرامها . ولا يبالي ما دس فيها عرضه وأهلك نفسه وأذهب مروته . فهم في غيرته يسهون ويضطربون » . وقال (ع) : « ان من أعون الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا » . وقال (ع) : « من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً : عرف الله فأناته . وعرف الشيطان فعصاه . وعرف الدنيا فتركها . وعرف الآخرة فطلبها . وعرف الباطل فأتقاه . وعرف الحق فأتبعه » . وقال (ع) : « من اشتاق الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف النار الهى عن الشهوات . ومن ترقب الموت ترك اللذات » . ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » . وقال (ع) : « ان علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا . أما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وان زهد وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيد فيه فيها وان حرص . فالمعبون من حرم حظه من الآخرة (٣٦) . وقال علي بن الحسين (ع) : « ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله (ص) أفضل من بغض الدنيا . . . الحديث » (٣٧) . وقال الباقر (ع) : « أكثر ذكر الموت . فانه لم يكثر انسان ذكر الموت الا زهد في الدنيا » . وقال (ع) : « قال الله تعالى : وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي ! لا يؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر

(٣٥) صححنا الحديث على ما في (اصول الكافي) : باب الكفاف .

(٣٦) صححنا الحديث على (الكافي) : باب ذم الدنيا .

(٣٧) الحديث مروي في (اصول الكافي) : باب ذم الدنيا وقد مضى ذكره

الدنيا ، الا جعلت غناه في نفسه ، وعلمته في آخرته ، وضمت المساوئ
والارض رزقه ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر » . وقال (ع) : « اعظم
الناس قدرا من لا يناول الدنيا في يده من كانت . فمن كرمت نفسه صغر
الدنيا في عينيه ، ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيا في عينيه » . وقال
الصادق (ع) : « جعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا » .
وقال (ع) : « ما كان شيء أحب الى رسول الله (ص) من ان يقل خائفا
جانبا في الله تعالى » . وقال (ع) : « اذا اراد الله بعد خيرا ، زهده في
الدنيا ، وفقهه في الدين ، وبصره غيوبها . ومن آتاهن فقد لوتي خير
الدنيا والآخرة » . وقال (ع) : « لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد
في الدنيا ، وهو ضد لما طلب أعداء الحق ، قلت : جعلت فداك ، ماذا ؟
قال : « من الرغبة فيها » . وقال : « ألا من صبار كريم ؟ فانما هي أيام
قليل ! الا انه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا » (٢٨)
وقال (ع) : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار ، وهو ترك كل
شئ يشغلك عن الله من غير تأسف على قوتها ، ولا اعجاب في تركها ،
ولا انتظار فرج منها ولا طلب معصدة عليها ، ولا عوض منها ، بل يرى
قوتها راحة وكونها آفة ويكون أبدا هاربا من الآفة معتصلا بالراحة .
والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة
والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على العفلة .
وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة » . وقال الرضا (ع) : « من أصبح
وأمسى معافى في بدنه ، آمننا في سربه عنده قوت يومه فكأنما خیر له
الدنيا » .

وكفى للزهد فضيلة ومدحا أنه اعرف صفات الانبياء والاولياء ، ولم
يبحث نبي الا به . ولو لم يتوقف التقرب الى الله والنجاة في دار الآخرة
عليه ، لما ضيق عظماء نوع الانسان واعرف الناس بحقيقة الحال على أنفسهم
في فطامها عن شهوات الدنيا ولذاتها .

فانظر الى كليسم الله موسى (ع) كيف كان غالب قوته نبت الارض

واوراق الاشجار : وكان ضعف بدنه من كثرة رياضته : بحيث ترى الخضرة من صفات بطنه ، كما أخبر به أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة . ثم انما الى روح الله (ع) كيف يلبس الشعر ويأكل الشجر . ولم يكن له ولد يسوت يخرّب ولا يدخر لعد . ايضا يدركه المساء فام : وقال له انصاره يومئذ : « يا بني الله لو امرتنا أن نبني بيتا تعبد الله فيه » قال : « اذهبوا فابنوا بيتا على الماء » فقالوا : كيف يستقيم بيتان على الماء ؟ قال : « فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا » : وروى : « آله استند به يوما المطر والرعد والبرق : فجعل يطلب بيتا يلجأ اليه » فرفعت اليه خيمة من بعيد فأناها فإذا فيها امرأة فحاد عنها ، فإذا هو بكهف في جبل فاتاد فإذا فيه اسد : فوضع يده عليه وقال : « الهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى » فأوحى الله اليه « مأواك في مستقر من رحمتي » لأزوجك يوم اتيامة الف حوراء خلقتها بيدي . ولا طعنك في عرسك اربعة آلاف عام . يوم منها كعسر الدنيا ولأمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا : زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم » .

ثم انظر الى يحيى بن زكريا : حيث يلبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللبس فسأته أمه أن يلبس مكانها حبة من صوف ففعل : فأوحى الله اليه : « يا يحيى آثرت علي الدنيا » فبكى ووزع الصوف وعاد الى ما كان عليه .

ثم افتح بصيرتك وتأمل في سيرة رسول الله (ص) وزعمه في الدنيا فإنه لبث في النبوة مالبث ، ولم يشبع هو وأهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ، ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة . ولم يشبع من السر هو وأهل بيته حتى فتح الله عليهم خيبر : وقرب اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه : فأمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على الارض ، وكان ينام على عباءة مشية فثنوها له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعموني قيام الليلة هذه بهذه العبادة اثنوها باثنتين كما كنتم ثنونها ، وكان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فمّا يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة . وروى : « أن امرأة من بني ظفر صنعت له (ص) كساءين ازارا ورداء

وبعث اليه باحدها قبل ان يبلغ الآخر ، فخرج الى الصلاة وهو مشتعل به ليس عليه غيره قد عقد طريقه الى عنقه ففعل كذلك .

وشدة زهد علي (ع) وتركه الدنيا أشهر من ان يحتاج الى بيان وكذا من بعده من الأئمة الرشدين والاصحاب والتابعين وغيرهم من أكابر الدين والسلف الصالحين ، حتى كان أحدهم يعيش خمسين سنة وميتين لم يطوله ثوب ولم يحسب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا أمر من في بيته بصناعة طعام ، فعلى اطرافهم يقومون ووجوههم على الارض يفتشون تجري دموعهم على خدودهم ويناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار .

وقد حكى أن بعض الخلفاء ارسل الى بعضهم بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على أهله ، فقال أندرون ؟ ما مثلي ومثلكم الا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها ليتشفعوا بجلدها ، فكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني فموتوا جوعا خير لكم من ان تذبحوني . وقد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به . وكان لبعضهم حب مكسور فيه مأوأة لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا .

فيا حبيبي أفق من سكر الهوى واغرف المضادة التي بين الآخرة والدنيا ، واقتد بالواقفين على جليلة الحال والمطلعين على حقيقة المآل في المواظبة على الزهد والتقوى وفطام النفس عن لذائد الدنيا ، فان ذلك وان كان شاقا فبندته قريبة ، والاحتشاء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المبين المعتصمين بعروة اليقين بنا وعد الله في الآخرة لعباده الزاهدين .

فصل

اعتبارات الزهد ودرجاته

اعلم ان للزهد اعتبارات تتحقق له بكل اعتبار درجات :
(الاول) اعتبار نفسه أي من حيث نقص الترك للدنيا وبهذا الاعتبار له درجات ثلاث : (الاولى) أن يزهد في الدنيا مع ميله اليها وجه لها بأن

يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة . وهذا هو التزهد . (الثانية) أن يترك الدنيا طوعا وسهولة من دون ميل اليها لاستحقاقه إياها بالاضافة الى ما يطمع فيه من لذات الآخرة ، وهذا كالذي يترك درهما لاجل درهين معاوضة فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى قليل انتظار ، ومثله ربما اعجب بنفسه وبزهده لاحتمال أن يظن بنفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه . (الثالثة) وهي أعلى الدرجات أن يترك الدنيا طوعا وشوقا ولا يرى انه ترك شيئا ، اذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خنفساء وأخذ ياقوتة صافية حسراء ، فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا وسبب هذا الترك كمال المعرفة ، فان العارف على اليقين بأن الدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الآخرة أخس من خنفساء بالنظر الى ياقوتة ، ومثل هذا الزاهد في أمن من خطر الانتفات الى الدنيا ، كما أن تارك الخنفساء بالياقوتة في أمن من طلب الاقالة في البيع .

وقد ذكر ارباب القلوب من أهل المعرفة أن مثل تارك الدنيا بالآخرة مثل من منعه عن باب الملك كلب يكون في بابه فالتقى اليه لقمة خبز نالها من موائد الملك فشغله بنفسه ودخل الباب وقال غاية القرب من الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته ، ففترى أنه يرى لنفسه عوضا عند الملك بلقمة خبز ألقيها الى كلب في مقابلة ما يناله مع كون هذه اللقمة أيضا من الملك . فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول ، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان أكلها فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقله في المعدة ثم ينتهي الى التشنج والقذر ويحتاج الى اخراجه ، فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ، ولأرباب في نسبة الدنيا لكل شخص اعني ما يسلم له منها وان عمر ألف سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا ، اذ لانسبة للمتناهي الى غير المتناهي ، والدنيا متناهية ، ولو كانت تتماهى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى الابد ، فكيف ومدة العمر قصيرة ولذاتها مكدرة غير صافية فأى نسبة لها الى نعيم الابد .

(الثاني) اعتبار المرغوب عنه أعني ما يترك وبهذا الاعتبار له خمس درجات :

(الأولى) أن يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام . ويسمى زهد فرض .
(الثانية) أن يترك المشتبهات أيضا وهو الزهد في الشبهة . ويسمى زهد سلامة .

(الثالثة) أن يزهد في الزائد عن قدر الحاجة من الحلال أيضا ولا يزهد في التمتع بالقدر الضروري من المنعم والملبس والسكن وأثاثه والمنكح وما هو وسيلة إليها من المال والجاه ، وإلى هذه الدرجات كلاً أو بعضاً أشار مولانا أمير المؤمنين (ع) بقوله : « كونوا على قبول العمل أمد غاية منكم على العمل » الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل . (٢٦١) ومولانا الصادق (ع) بقوله : « الزهد في الدنيا ليس بإضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ألا تكون بها في يدك أوثق بها في يد الله عز وجل » (٢٦٢) وهذا مع ما يأتي بعده هو الزهد في الحلال . ويسمى زهد ثقل .

(الرابعة) أن يترك جميع ما للنفس فيه تسع ويزهد فيه ولو في قدر الضرورة ، لا بمعنى ترك هذا القدر بالمرّة ، إذ ذلك متعذر ، بل تركه من حيث التمتع به وإن ارتكبه اضطراراً من قبيل أكل الميتة مع الإكراه له بأمرنا ، وهذا يتناول ترك جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرئاسة والمال والجاه وغيرها ، وإلى هذه الدرجة أشار الصادق (ع) بقوله : (الزاهد في الدنيا الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه) وإليها يرجع قول أمير المؤمنين (ع) : (الزهد كله بين كلسين من القرآن قال الله سبحانه :

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » (٢١) .

(٢٦١) صحيحنا الحديث على ما في البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر في باب الزهد ص ١٠١ .
(٢٦٢) صحيحنا الحديث على ما في سفينة البحار ج ١ ص ٥٦٨ .
(٢٦٣) الحديد الآية ٢٣ .

فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه ^(١٢٢) .
وقوله (ع) (الزهد في الدنيا ثلاثة أحرف : زاء وهاء ودال أما الزاء فترك
الزينة وأما الهاء فترك الهوى وأما الدال فترك الدنيا) .

(الخامسة) أن يترك جميع ما سوى الله ويزهّد فيه حتى في بدنه ونفسه
أيضا بحيث كان ما يصحبه ويتركه في الدنيا الجاء وأكراها من دون استلذاذ
ونسع به ، وإلى هذه الدرجة أشار مولانا الصادق (ع) في كلامه المنقول سابقا
(س ٤٨) حيث قال : « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو
تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا إعجاب في
تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محسنة عليها ولا عوض منها بل يرى
فوتها راحة وكونها آفة » إلى آخر الحديث ^(١٢٣) .

ثم الالتفات إلى بعض ما سوى الله والاشتغال به ضرورة ، كضروري
الآكل واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وأمثال ذلك ، لا ينافي هذه المرتبة
من الزهد ، إذ معنى الانصراف من الدنيا إلى الله تعالى إنما هو الإقبال
بكل القلب إليه تعالى ذكرا وفكرا ، وهذا لا يتصور بدون البقاء إلا
بضرورات المعيشة ، فتنى تقتصر من الدنيا عليها قصدا لدفع المهلكات عن
البدن والاستعانة بالبدن على العبادة وسائر ما يقربه إلى الله لم يكن مشتغلا
بغير الله ، إذ مالا يتوصل إلى شيء إلا به فهو منه ، فالمشتغل بعلم دابته
في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ، ولكن ينبغي أن يكون البدن في
طريق الله مثل الدابة في طريق الحج ، فكما أن قصدك من تهيئة ما تحتاج إليه
دابتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك دون تعميها ، فكذلك
ينبغي أن يكون قصدك من الآكل والشرب واللباس والسكنى صيانة بدنك
عما يهلكك من الجوع والعطش والحر والبرد فتقتصر على قدر الضرورة
وتتصد به التقوى على طاعة الله دون التلذذ والتنعم ، وذلك لا ينافي الزهد
بل هو شرطه ، ثم ترتب التلذذ على ذلك لا يفترك إذا لم يكن مقصودا

(١٢٢) هذا الحديث مراد في البحار الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر
في باب الزهد ص ١٠٢ .

(١٢٣) صححنا الحديث هنا وهناك على ما في البحار الجزء الثاني من المجلد
الخامس عشر في باب الزهد ص ١٠٠ والحديث منقول فيه عن مصباح الشريعة
الذي تقدم ذكره في الجزء الأول ص ١٢١ ، ٢٥٤ .

بالذات لك فان الانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور وهذا لا يضر بعبادته اذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحة ، على انه لالذة حقيقية في الاكل والشرب واللباس وانما تندفع بها آلام الجوع والعطش والحر والبرد .

ثم لا يخفى ان الفضول من امور الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمسكن واثائه والمنكح والمال والجاد ينبغي تركها والزهد فيها اذ الاخذ بها لا يحتاج اليه ينافي الزهد . (واما) غير الفضول مما يحتاج اليه الانسان ويكون مهما له من الامور الثمانية ، فينبغي الا يترك الزهد فيها ، اذ ما هو المهم الضروري ينطرق اليه فضول في مقدار وجنسه واوقاته فينبغي الا يترك الزهد فيه ايضا .

ومقتضى غاية الزهد فيه ان يقتصر من القوت على قوت يومه وليلته فان كان عنده ازيد من ذلك فليبدله على بعض المستحقين ، فان اقتصر من جنسه على خبز الشعير فهو نهاية الزهد في القوت ، الا ان اكل خبز الحنطة في بعض الاحيان بل اكل ادام واحد في بعض الاوقات اذا لم يكن من اللذائذ الشديدة من اطعمة المتنعين من اهل الدنيا لا ينافي الزهد ، وربما لم يكن اكل اللحم في بعض الاحيان منافيا له . ويقتصر من (اللباس) بعد كونه من القطن او الصوف على ما يستر الاعضاء ويحفظها من الحر والبرد ، ولا بأس بكونه اثنين ليلبس الآخر عند غسل احدهما . ومن (المسكن) على ما يحفظ نفسه وأهله من الحر والبرد . ومن (اثائه) اغني الفرش والظرف والقدر والكوز وامثال ذلك ، ما يدفع حاجته من غير تعد الى ما يمكن زوال ضرورته بدونه . ومن (المنكح) على ما تنكسر به سورة شبقه ويحفظه عن النظر والوساوس الشهوية المانعة عن الحضور في العبادات .

ومن (المال) على ما يقضي به حاجة يومه بليته فان كان كاسبا فاذا اكتسب حاجة يومه فليترك كسبه ويستغل بأمر الدين ، وان كانت له ضيعة ولم يكن له مدخل آخر يسكن ان يصل اليه كل يوم قدر حاجته فيه ، فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفي لسد رمقه بسنة واحدة بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية نفقته . وربما قيل ان مثله من

ضعفاء الزهاد ، بمعنى ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات العالية والدرجات الرفيعة لا يتأله ، وان صدق عليه كونه زاهدا ، اذ مثله ليس له قوة اليقين ، لان صاحب اليقين الواقعي اذ اكان له قوت يومه لا يدخر شيئا لغيره ، ومن شرط التوكل في الزهد فلا يكون هذا من الزهاد عنده . وهذا غاية الزهد في الامور المذكورة ، وعليه جرت طوائف الانبياء وزمرة الاوصياء ومن بعدهم من السلف الاتقياء . والحق ان حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الاشخاص والاوقات فان امر المتفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل ، ومن قصر جميع همه على تحصيل العلم والعمل ولم يقدر على كسب ، حاله يخالف حال أهل الكسب ، وكذا في بعض الاوقات وفي بعض الاماكن يمكن تحصيل قدر الحاجة في كل يوم وفي بعض آخر منهما لا يمكن ذلك ، فاللائق لكل احد ان يلاحظ حاله ووقته ومكانه ويتأمل في ان الاصلح بأمر آخرته والاعون على تحصيل ما خلق لاجله امساك أي قدر من المال وصرف أي قدر وجنس من القوت ، بحيث لو كان أقل منه لم يتمكن من تحصيل ما يقربه الى ربه فيأخذ به ويترك الزائد ، فان بعد صحة النية وخلوص القصد في ذلك لا يخرج به عن الزهد الواقعي وان تصور الاكتفاء بأقل من ذلك مع ايجابه لفقد ما هو أهم في تكميل النفس .

واما (الجهاد) فقد تقدم ان القدر الضروري منه في أمر المعيشة كتحصيل منزلة في قلب خادمه ليعظمه ، وفي قلب السلطان ليدفع الاشرار عنه ، لا بأس به ، فالظاهر عدم منافاة هذا القدر للزهد ، وقال بعض العلماء : (هذا القدر وان لم يكن به بأس الا انه يتمادى الى عاوية لا عمق لها ومن حاس حول الحصى يوشك ان يقع فيه) وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع أو لدفع ضرر أو للخلاص من ظلم : اما النفع فيعني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن لمستأجره عنده قدر ، وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة ، ومعلوم ان من اراد ان يخدم بغير اجرة فهو من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين . واما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها وان يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بسجل له في القلوب او محل له عند السلطان . وقدر

الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك ، بل حق الزاهد ألا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً ، فإن اشتغاله بالدين والعبادة يسود له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين .
وأما التوجهات والتفكير التي تخرج الى الزيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة ، إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الاوقات فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه ،
فإذا نطلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً واليسير منه داع الى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخير فليحترز من قليله وكثيره ، نعم ما اعطاه الله لبعض عباده من دون سعيه في طلبه لنشر دينه أو لاتصافه ببعض الكمالات المختصة لحصول منزلته في القلوب ، فليس به بأس ولا ينافي الزهد ، فإن جاء رسول الله (ص) كان أوسع الجاه مع كونه أزهد الناس .

والحق كما تقدم ان الجاه كالمال في نفي البأس من قدر يضطر اليه الانسان اذا وقع في زمان او بلد توقف امر معيشتة عليه . فالتقدير الضروري منهما غير محذور وغير منافي للزهد ، والزائد على الحاجة سم قاتل ، فلا ينبغي ان ينسب المقتصر على الضرورة الى الدنيا ، بل ذلك القدر من الدين ، لانه من شرطه والشرط من جملة المشروط . ويدل عليه ما روي ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض شيئاً فلم يقرضه ، فرجع مهتماً ، فاوحى الله تعالى اليه : (لو سألت خليلك لاعطاك) ، فقال يا رب : (عرفت مقتك للدنيا فخفت ان أسألك منها) ، فاوحى الله اليه : (ليس الحاجة من الدنيا) ويدل عليه أيضاً كلام الصادق عليه السلام مع سفيان الثوري كما أورده بطوله شيخنا الاقدم رحمه الله في جامع الكافي .

فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبأل في الآخرة ، بل في الدنيا أيضاً ، ويعرف ذلك بالتأمل في احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه وتحمل الذل فيه ، وغاية سعادته ان يتركه لورثته ، فيأكلونه وهم أعداؤه ، او يستعينون به على المعصية ، فيكون معيناً لهم عليها ، ولذلك شبه جامع الدنيا وتابع الشهوات بدود القر ، لا يزال ينسج

على نفسه حتى يقتلها ، ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب العمل الذي عمله بنفسه كما قيل في ذلك :

ألم تر أن المرء طوّل حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو فاسجه

فكل مكب على الدنيا متبع للشهوات لا يزال يقيّد نفسه بسلاسل والغلال لا يقدر على قطعها ، إلى أن يفرق ملك الموت بينته وبين شهواته دفعة فتبتلى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي قاتته وخلتها ، وهي تجاذبه إلى الدنيا . ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فأهون أحواله عند الموت أن يكون مثل شخص ينشر بالناشير ويفصل أحد جانبيه عن الآخر . فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حشرات تزول في أسفل السافلين ومنعه عن أعلى عليين وجوار رب العالمين . فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله ، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم ، إذ النار لكل محجوب معدة ، كما قال الله تعالى :

« كلا أنهم عن ربهم يومئذ محجوبون . ثم أنهم لصالوا الجحيم » (٤٤) .

ولما انكشف لأرباب القلوب أن العبد يهلك نفسه باتباع الهوى والغوص في الدنيا أهلاك دود القز نفسه ، رفضوا الدنيا بالكلية . فنسأل الله تعالى أن يقرر في قلوبنا ما نثبت في روع حبيبه (ص) ، حيث أوحى إليه : « أحب ما أحبيت ، فأنك مفارقة » .

(الثالث) اعتبار المرغوب فيه : أعني ما يترك لأجله . وله بهذا الاعتبار ثلاث درجات . الأولى : أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الآخرة ، وهذا زهد الخائفين . الثانية : أن يكون ثواب الله ونعيم الجنة ، وهذا زهد الراجين . الثالثة : وهي الدرجة العليا : ألا تكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه ، فلا يلتفت إلى الآلام ليقصد منها الخلاص ، ولا إلى اللذات ليقصد فيها ، بل كان مستغرق الهم بالله ، وهذا زهد العارفين لأنه لا يحب الله خاصة إلا من عرفه بصفاته الكمالية . فكما أن من عرف

الدينار والدرهم ، وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما ، ثم يحب الا الدينار .
كذلك من عرف الله ، وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم ، وعرف ان الجمع
بين تلك اللذة ولذة التنعم بالخور العين والنظر الى القصور وخضرة الاشجار
غير ممكن ، فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره .

وقال بعض العرفاء : ولا تظن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله
تعالى يبقى للذة الخور والقصور متسع في قلوبهم ، بل تلك اللذة بالاضافة
الى لذة نعيم الجنة ، كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب
الخلق ، بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به . والطالبون
لنعيم الجنة ، عند اهل المعرفة وارباب القلوب ، كالصبي الطالب للعب بالعصفور
التارك للذة الملك ، وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك ، لا لان اللعب
بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق .

تتهيم

الزهد الحقيقي

لا تظن ان كل من يترك مال الدنيا انه زاهد ، فان ترك المال واظهار
التضييق والخشونة في المآكل والملبس سهل على من أحب المدح بالزهد .
فكم من الرهبان والمرائين تركوا مال الدنيا وروضوا^(٤٥) انفسهم كل يوم
على قدر قليل من القوت ، واكتفوا من المسكن بأي موضع اتفق لهم ، وكان
غرضهم من ذلك ان يعرفهم الناس بالزهد ويمدحهم عليه ، فهم تركوا المال
لتليل الجاه . فالزهد الحقيقي ترك المال والجاه ، بل جميع حظوظ النفس
من الدنيا . وعلامة ذلك استواء الغنى والفقر والذم والمدح والذل والعز
لاجل غلبة الانس بالله ، اذ ما لم يغلب على القلب الانس بالله والنحب له لم
يخرج عنه حب الدنيا بكليته . اذ محبة الله ومحبة الدنيا في القلب كالماء
والهواء في القدح ، فاذا دخل احدهما خرج الآخر ، فكلاهما لا يجتمعان
ولا يرتفعان ايضا . فالقلب المملوء من حب الدنيا يكون خاليا عن حب الله
كما ان القلب المشغول بحب الله وانسه فارغ عن حب الدنيا ، وبقدر مسا

(٤٥) في بعض النسخ (ردوا) ، وفي بعض آخر (رودوا) . والظاهر ان
الصحيح ما اثبتناه .

يقدر ما يخرج احدهما يدخل الآخر وبالعكس .
ومنها :

الغنى

وهو وجود كل ما يحتاج اليه من الاموال ، وهذا اقل مراتبه ،
وفوق ذلك مراتب لا تحصى ، حتى ينتهي الى جمع اكثر اموال الدنيا ، كما
اتفق لبعض الملوك .

ثم (الغنى) اما ان يكون بحيث يسعى في طلب المال وجمعه ويتعب في
تحصيله ويكره خروجه عن يده ويتأذى به ، وهذا غنى حريص . او يكون
بحيث لا يتعب ولا يسعى في تحصيله ، الا انه لما اتاه اخذ وفرح به ، مع
تأذيه بفقده وكرهه له ، وهذا ايضا لا يخلو عن الحرص لحزنه بفقده .
او يكون بحيث لا يتعب في طلبه ولا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ويتأذى
بفقده ، ولكن لما اتاه رضى به : اما مع تساوى وجوده وعدمه او مع كون
وجوده أحب اليه من عدمه ، ومثله الغنى الراضى والقانع .

وايضا الغنى اما ان يكون جميع ماله حلالا ، او يكون بعضه او كله حراما .
وايضا اما يسكه غاية الامساك ، بحيث لا يؤدي شيئا من حقوقه
الواجبة والمستحبة ، او ينفقه في مصارفه الثلاثة . والاتفاق مراتب شتى :
اذناها ان يؤدي الحقوق الواجبة ، واعلاها ان يبذل كلها يزيد عن اقل
مراتب الغنى ، بحيث لو تعدى عنه يسيرا صار فقيرا .

فصل

ذم الغنى

الغنى الحاصل من الحلال ، مع بذل ما يفضل عن اقل مرتبته في المصارف
الثلاثة ومساواة وجوده وعدمه عند صاحبه ، سالم من الآفات والاضطار .
وغير ذلك من اقسامه لا يخلو عن آفة او خطر ، وجبه بعض افراد حب
الدنيا ، بل هو راجع الى حب المال بعينه . فيدل على ذمه ما ورد في ذمها .
وقد ورد في ذمه بخصوصه بعض الآيات والاخبار ، قال الله سبحانه :

« ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى » (٦٦) .

(٦٦) العلق ، الآية : ٦ - ٧ .

وقيل لرسول الله (ص) : أي امتك أشد ؟ قال : «الاغنياء» . وقال (ص) لبلال : « اتق الله فقيرا ؛ ولا تلقه غنيا » . وقال (ص) : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسةائة عام » . وقال (ص) : « اطلعت على الجنة ، فرأيت أكثر أهلها الفقراء » . واطلعت على النار ، فرأيت أكثر أهلها الاغنياء » . وفي طريق : « فقلت : أين الاغنياء ؟ فقال : حسبهم الجحيم » . واوحى الله تعالى الى موسى : « يا موسى ، اذا رأيت الفقر مقبلا ، فقل : مرحبا بشعار الصالحين » . واذا رأيت الغنى مقبلا ، فقل : ذنب عجلى عقوبته » . وروي : « انه مامن يوم الا وملك ينادي من تحت العرش : يا ابن آدم ، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك » . وقال عيسى (ع) : « بشدة يدخل الغنى الجنة » .

وصل

الفقر

ضد الغنى (الفقر) . وهو فقد ما يحتاج اليه . ولا يسمى فقد ما لا حاجة اليه فقرا . فان عسى ما يحتاج اليه ولم يخص بالمال ، لكان كل موجود مسكن محتاجا ؛ لاحتياجه الى دوام الوجود وغيره من الحاجات المستفادة من الله سبحانه ، وانحصر الغنى بواحد واجب لذاته ومفيد لوجود غيره من الموجودات ، أغني الله سبحانه . فهو الغنى المطلق . ومما اثر الاشياء الموجودة فقراء محتاجون . وقد اشير الى هذا الحصر في الكتاب الالهي بقوله تعالى : « والله الغني وانتم الفقراء » (٤٧) .

وان خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء ، بل من فقد المال الذي هو محتاج اليه كان فقيرا بالاضافة اليه . والفقر بهذا المعنى هو الذي نريد بيانه هنا .

فصل

اختلاف احوال الفقراء

(الفقير) اما ان يكون راعيا في المال محبا له ، بحيث لو وجد اليه سبيلا لطلبه ، ولو بالتعب والمشقة ، وانما ترك طلبه لعجزه منه ، ويسمى هذا فقيرا (حريصا) .

أو يكون وجود المال أحب إليه من عدمه ، ولكن لم يبلغ حبه له حدا
يبعث على طلبه ، بل إن أتاه بلا طلب أتته وفرح به ، وإن افتقر إلى سعي
في طلبه لم يشغل به ، ويسمى هذا فقيرا (قانعا) .

أو يكون بحيث لا يحبه ولا يرغب فيه ، ويكره وجوده ويتأذى به ،
ولو أتاه هرب منه ، مبغضا له ومحترا عن شربه ، ويسمى هذا فقيرا
(زاهدا) . فاعراضه عنه وعدم سعيه في محافظته ووضبطه لو وجدته ، إن كان
لخوف العتاب فهو (فقر الخائفين) ، وإن كان لشوق الثواب فهو (فقر
الراغبين) . وإن كان لعدم التفاته اللازم لاقباله على الله تعالى بشرائحه من
دون غرض دينوي أو اخروي فهو (فقر العارفين) .

أو يكون بحيث لا يحبه حبا يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى
بها ويؤهد فيه ، بل يستوي عنده وجوده وعدمه ، فلا يفرح بحصوله ولا
يتأذى بفقدانه ، بل كان راضيا بالحالتين على السواء ، وغنيا عن دخوله وبقائه
وخروجه من يده ، من غير خوف من الاحتياج إذا فقد ، كالخريص والقانع
ولا حذر من شربه واضرارها إذا وجد كالزاهد . فمثل لو كانت اموال الدنيا
بأسرها في يده لم يضره ، إذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه ،
فلا تفريق بين أن تكون في يده أو في يد غيره ، فيكون بحيث يستوي عنده
المال والهواء المخلوق في الجو ، فكما أن كثرة الهواء في جواره لا يؤذيه
ولا يكون قلبه مشغولا بالفراغ عنه ولا يبغضه بل يستشيق منه بقدر الضرورة
ولا يخل به على أحد ، فكذلك كثرة المال لا يؤذيه ولا يشغل قلبه ، ويرى
نفسه وغيره فيه على السواء في المالكية .

ومثله ينبغي أن يسمى (مستغنيا راضيا) ، لاستغنائه عنه وجودا وعدمه ،
ورضائه بالحالتين من دون تفاوت ، ومرتبته فوق الزاهد ، إذ غاية درجة
الزهد كسائر الابرار ، ومباحب هذه المرتبة من المقربين فالزهد في حقه
قصصان ، إذ حسنات الابرار سيئات المقربين ، والسرف فيه : أن
الزاهد كاره للدنيا ، فهو مشغول بالدنيا ، كما أن الراغب فيها مشغول بها ،
والشغل بها سوى الله حجاب عن الله ، سواء كان بالحب أو بالبغض . فكل
ما سوى الله ، كالرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق . فكما
إن التفات قلب العاشق إلى الرقيب وبغضه وكراهته حضوره قصص في العشق

فكذلك التفات قلب العبد الى غير الله تعالى وبغضه وكرهته نقصان في الحب والانس، كما ان التفاتة بالحب نقص فيها . اذ كما لا يجتمع في قلب واحد حبان في حالة واحدة . فكذلك لا يجتمع فيه حب وبغض في حالة واحدة . فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله فالمشغول بحبها ، وان كان الثاني اسوأ حالا من الآخر . اذ المشغول بحبها غافل في غفلته ، سالك في طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل ، وهو في غفلته سالك في طريق القرب ، فيحصل زوال غفلته وتبدلها بالشهود ، فالكمال مرتقب له ، اذ بغض الدنيا مظنة توصيل العبد الى الله .

وهرب الانبياء والاولياء من المال ، وفرارهم عنه ، وترجيحهم فقده على وجوده — كما اشير اليه في بعض الاخبار والآثار — اما نزول منهم الى درجة الضعفاء ليقتدوا بهم في الترك ، اذ الكمال في حقهم حب الترك وبغض الوجود ، لأن مع وجوده يتعذر في حقهم استواء وجوده وفقده وكونه عندهم كماء البحر ، فلو لم يظهر الانبياء النفاق والكرامة من المال ويقتدي الضعفاء بهم في الاخذ لهلكوا . فمثل النبي كمثل المعزم الحاذق يفر بين يدي اولاده من الحية ، لا لضعفه عن أخذها ، بل لعلمه بأنه او اخذها لأخذها اولاده ايضا اذا رأوها . وهلكوا . فالسير بسيرة الضعفاء صفة الانبياء والاولياء . أو غير الهرب والنفاق اللازمين للبغض والكرامة وخوف الاشتغال به ، بل كان نقارهم منه كنقارهم من الماء ، على معنى انهم شربوا منه بقدر حاجتهم ، وتركوا الباقي في الشطوط والانهار للمحتاجين من غير اشتغال قلوبهم بحبه وبغضه . الا ترى انه قد حصلت خزائن الارض الى رسول الله وخلفائه ، فأخذوها ووضعوها في مواضعها ، من غير هرب منه وبغض له ، وذلك لاستواء المال والماء والحجر والذهب عندهم .

ثم تسمية صاحب هذه المرتبة بالفقير والمستغني لا يوجب التنافي ، اذ اطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجا اليه تعالى في جميع أمورده عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة ، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وافر بها ، فانه أحق باسم العبد من الغافلين ، وان كان عاما للخلق . ثم كل مرتبة من المراتب المذكورة للفقير ، ما عدا الاخيرة ، أهم من ان يكون بالغيا حد الاضطرار ، بأن يكون ما فقده من المال مضطرا

اليه . كالجائع القنفذ للخبز والعاري الفاقد للشوب ، أم لا .
وافت . بعد ما فهمت اشتراك الفقر بين المعاني المذكورة ، لم يشكل
عليك الجوع بين ما ورد في مدح الفقر — كما يأتي — وبين ما ورد في ذمه ،
كقوله (ص) : « كاد الفقر أن يكون كفرا » ، وقوله (ص) : « الفقر الموت
الاكبر » . وقول أمير المؤمنين عليه السلام : « من ابتلى بالفقر فقد ابتلى
باربع خصال : بالضعف في يقينه ، والنقصان في عقله ، والرقه في دينه ، وقلة
الحياء في وجهه » . فنعوذ بالله من الفقر ! » .

فصل

مراتب الفقر ومدحه

قد عرفت أن بعض مراتب الفقر راجع الى الزهد ، وبعضها الى ما هو فوقه
اعني الرضى والاستغناء ، وبعضها الى القناعة . ففضيلة هذه المراتب ظاهرة ،
والاخبار الواردة في فضيلة الزهد والرضى والقناعة تدل على فضيلة المراتب
المذكورة من الفقر . واما المرتبة الاولى المتضمنة للحرص ، فهو أيضا لا يخلو
عن فضيلة بالنظر الى الغنى المتضمن له والاخبار الواردة في مدح الفقر تتناول
بعضها جميع مراتبه . قال الله سبحانه :

« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم » (٤٨) . وقال :

« للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ... » الآية (٤٩) .

ساق الله سبحانه الكلام في معرض المدح ، وقدم وصفهم بالفقر على
وصفهم بالهجرة الاحصار ، وفيه دلالة جليلة على مدح الفقر (٥٠) . وقال
رسول الله (ص) : « خير هذه الامة فقراؤها ، وأسرعها تصعدا في الجنة
ضعفاؤها » . وقال — (ص) : « آلهم احبني مسكينا وامتني مسكينا »
وتحشرني في زمرة المساكين » . وقال (ص) : « ان لي حرفتين اثنتين ،
فمن احبهما فقد احبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني : الفقر والجهاد » . وقال
— صلى الله عليه وآله — : « الفقر أزين المؤمنين من العذار الحسن على خد
الفرس » . وسئل عن الفقر ، فقال : « خزائنة من خزائن الله » وسئل عنه

(٤٨) الحشر ، الآية : ٨ .

(٤٩) البقرة ، الآية : ٢٧٣ .

(٥٠) قال المحقق (الفيض) في (احياء الاحياء) : « لادلالة في الايتين
على مدح الفقر ، وانما سبقنا لبيان ان مصرف المال انما هم الفقراء المتصفون
بهذه الصفات » .

فأجاب فقال : « كرامة من الله » . وسئل عنه ثالثا ، فقال : « شيء لا يعطيه
 إلا فييا مرسل أو مؤمنا كريما على الله » . وقال (ص) : « إن في الجنة غرفة
 من يقوّة حراء » ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم
 السماء لا يدخل فيها إلا نبي فقير أو مؤمن فقير » . وقال : « يوم فقراء
 امتي يوم القيامة وياهم خسر » وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت وبأيديهم
 قضبان من نور يخطبون على المنابر فيسر عليهم الأنبياء ، فيقولون : هؤلاء
 من الملائكة ، وتقول الملائكة : هؤلاء من الأنبياء . فيقولون : نحن لا
 ملائكة ولا أنبياء ! بل من فقراء أمة محمد (ص) . فيقولون : هم فتم هذه
 الكرامة ؟ فيقولون : لم تكن أمثالنا شديدة ، ولم نصم الدهر ، ولم نفهم
 الليل ، ولكن أقمنا على الصلوات الخمس ، وإذا سمعنا ذكر محمد فاضت
 دموعنا على خدودنا » . وقال (ص) : « كنتي ربي فقال : يا محمد ! إذا
 أحببت عبدا ، اجعل له ثلاثة أشياء : قلبه حزينا ، وبيده سقيبا ، ويده
 خالية من حطام الدنيا . وإذا أبغضت عبدا ، اجعل له ثلاثة أشياء : قلبه
 مسرورا ، وبيده صحيحا ، ويده مسلوقة من حطام الدنيا » . وقال (ص) :
 « الناس كأنهم مشتاقون إلى الجنة ، والجنة مشتاقة إلى الفقراء » . وقال
 (ص) : « التقر فخر » . وقال (ص) : « الجنة المؤمن من الدنيا الفقر » .
 وقال (ص) : « يؤتى بالعبد يوم القيامة » فيعذر الله تعالى إليه كما يعذر
 الأخ إلى أخيه في الدنيا ، فيقول : وعزتي وجلالي ! ما زويت الدنيا عنك
 لهوانك علي ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والتفضيلة . أخرج يا عبدي
 إلى هذه الصفوف ، فمن المعك في أو كسك في يريد بذلك وجهي ،
 فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد اجتمع الغرق . فيتخلل الصفوف
 وينظر من فعل ذلك به ، ويدخله الجنة » . وقال (ص) : « أكثروا معرفة
 الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي ، فإن لهم دولة » قالوا : يا رسول الله ،
 وما دولتهم ؟ قال : « إذا كان يوم القيامة ، قيل لهم : انظروا إلى من
 أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا ، فخذوا بيده ثم امضوا به
 إلى الجنة » . وقال (ص) : « ألا أخبركم بملوك أهل الجنة ؟ » قالوا :
 بلى يا رسول الله ! قال : « كل ضعيف مستضعف أعير أشعث ذي طمرين

لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره . » . ودخل (ص) على رجل فقير ، ولم ير له شيئا ، فقال : « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم » . وقال (ص) : « اذا أبغض الناس فقراءهم . وانفكروا عنارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم والدنانير . وماهم الله بأربع خصال : بالقسط من الزمان ، والجور من السلطان ، والجنابة من ولاية الحكام ، والشوكة من الأعداء » ^(٥١) .

وورد من طريق أهل البيت عليهم السلام : « ان الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه : فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه . قيل : وما اقتناه ؟ قال : لم يترك له أهلا ولا مالا » . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « وكل الرزق بالحسق : وكل الحرمان بالعقل : وكل البلاء بالصبر » . وقال الباقر عليه السلام : « اذا كان يوم القيامة . امر الله تعالى مناديا ينادي بين يديه : اين الفقراء ؟ فيقوم عنق من الناس كثير ، فيقول : عبادي ! فيقولون : اليك ربنا ! فيقول : اني لم افقركم لهون بكم علي ؛ ولكن انما اخترتكم لمثل هذا اليوم . تصفحوا وجوه الناس ، فمن صنع اليكم معروفا لم يصنع الا في فكافؤدعني بالجنة » . وقال الصادق عليه السلام : « لولا الحاج المؤمنين على الله في طلب الرزق ، لنقلهم من الحال التي هم فيها الى حال أضيّق منها » . وقال عليه السلام : « ليس لمصاص ^(٥٢) شيعة في دولة الباطل الا القوت ، شرقوا ان شئتم أو غربوا ، لن ترزقوا الا القوت » . وقال عليه السلام : « ما كان من ولد آدم مؤمن الا فقيرا ولا كافر الا غنيا ، حتى جاء ابراهيم عليه السلام ، فقال :

« ربنا لا نجعلنا فتنه للذين كفروا » ^(٥٣) .

فصير الله في هؤلاء اموالا وحاجة » . وقال عليه السلام : « ان فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفا » . ثم قال : « سأضرب لك مثل ذلك : انما مثل ذلك مثل سفيتين مر بهما على عاشر ، فنظر في احدهما فلم ير فيها شيئا ؛ فقال اسروها . ونظر في الاخرى ؛ فاذا هي موقرة » فقال : احبسوها » . وفي بعض

(٥١) هذه الاخبار كلها عامية ، فصحبناها على احياء العلوم :

و (احياء الاحياء) .

(٥٢) المصاص : خالص كل شيء . قاله الجوهرى .

ج : ٢

(٥٣) المتحنة ، الآية : هـ .

الاحبار : فسر الخريف بألف عام. والعام بألف سنة . وعلى هذا ، فيكون المراد من أربعين خريفاً أربعين ألف عام . وقال الصادق عليه السلام : « المصائب منح من الله ، والفقر مخزون عند الله » : أي المصائب عطايا من الله يعطيها عباده ، والفقر من جسلتها مخزون عنده عزيز لا يعطيه الا من خصه بزيادة العناية . وقال عليه السلام : « ان الله عز وجل يلفت يوم القيامة الى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر اليهم ، فيقول : وعزتي وجلالي ! ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي ، ولتروا ما اصنع بكم اليوم بفس زود منكم في دار الدنيا معروف فخذوا بيده فادخلوا الجنة » . قال : « فيقول رجل منهم : يا رب ، ان اهل الدنيا تنافسوا في دنياهم ، فكبحوا النساء ، ولبسوا الثياب اللينة ، وآكلوا الطعام . وسكنوا الدور ، وركبوا المشهور من الدواب . فاعطني مثل ما اعطيتهم . فيقول تبارك وتعالى : لك ولكل عبد منكم مثل ما اعطيت اهل الدنيا منذ كانت الدنيا الى ان انقضت الدنيا سبعون ضعفاً » . وقال عليه السلام : « ان الله جل ثناؤه ليعتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الاخ الى اخيه » فيقول : وعزتي وجلالي ! ما احوجتك في الدنيا من هوان كان بك علي ، فافزع هذا السجف ، فانظر الى ما عوضتك من الدنيا . قال : فبرقع . فيقول : ما ضرني ما منعتني ما عوضتني » . وقال عليه السلام : « اذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة ، فيضربوا باب الجنة ، فيقال لهم : من اقم ؟ فيقولون نحن الفقراء . فيقال لهم : اقبلوا الحساب . فيقولون : ما اعطيتونا شيئاً نحاسبونا عليه ، فيقول الله عز وجل : صدقوا ، ادخلوا الجنة » . وقال — لبعض اصحابه : « اما تدخل للسوق ؟ اما ترى الفاكهة تباع والشئ ما تشتهي ؟ فقلت : بلى ! فقال : اما ان لك بكل ما تراه فلا تقدر على شراء حسنة » . وقال الكاظم عليه السلام : « ان الله عز وجل يقول : اني لم اغن الغني لكرامة به علي ، ولم أفقر الفقير لهوان به علي ، وهو مسا ابتليت به الاغنياء بالفقراء ، ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة » (٥٤) .

(٥٤) صححنا اغلب الاحاديث المروية عن اهل البيت — عليهم السلام — في هذا الفصل على الكافي : باب الفقر ، وعلى « سفينة البحار » : ٢ / ٢٧٧ . وعلى « احياء الاحياء » : كتاب الفقر .

وقال عليه السلام : « ان الانبياء واولاد الانبياء واتباع الانبياء خصوا بثلاث خصال : السقم في الابدان ، وخوف السلطان ، والفقر » . وقال الرضا عليه السلام : « من لقي فقيرا مسلما وسلم عليه خلاف سلامه على الغني » . لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » . وقال عليه السلام : « الفقر شين عند الناس ودين عند الله يوم القيامة » . وقال موسى عليه السلام في بعض مناجاته : « الهي . من احياؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك » فقال : « بل فقير » . وقال عيسى عليه السلام : « ان احب الاسامي الي ان يقال : يا مسكين » . وقال بعض الصحابة : « ملعون من اكرم الغني واهان الفقير » . وقال لقمان لابنه : « لا تحقرن احدا لخلقك ثيابه » فان ربك وربك واحد » . وما يدل على فضيلة الفقر ، اذا كان مع الرضى او القناعة او الصبر او الصدق او السر ، قوله (ص) : « يا معشر الفقراء : اغضوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم » فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم » . وقوله (ص) : « ان احب العباد الى الله الفقير الخالق برزقه الراضي عن الله تعالى » . وقوله (ص) : « لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا » . وقوله (ص) : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين صفتي من خلقي ؟ فتقول الملائكة : من هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القاعمين بعطائي الراضين بقدرتي . ادخلوهم الجنة . فيدخلونها » . ويأكلون ويشربون » والناس في الحساب يترددون » . وقوله (ص) : « ما من أحد غني ولا فقير » الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا » وقوله (ص) : « طوبى للمساكين بالصبر وهم الذين يرون ملكوت السماوات والارض » . وقوله (ص) : « من جاع او احتاج ، فكتمه عن الناس وأقشاه الى الله تعالى ، كان حقا على الله ان يرزقه رزق السنة من الحلال » . وقوله (ص) : « ان لكل شيء مفتاحا » . ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصابرين » . وهم جلساء الله يوم القيامة » . وما روي : « ان الله اوحى الى اسماعيل عليه السلام : اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من اجلي » . قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون » . وقال رسول الله (ص) لامير المؤمنين عليه السلام : « يا علي ، ان الله جعل الفقر أمانة عند خلقه ، فمن ستره أعطاه الله تعالى مثل أجر الصائم القائم ، ومن

أفشاء الى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قُتله اما انه ما قُتله
بسيف ولا رمح ولكنه قُتله بما تكلم من قلبه » .

ثم لا ريب في ان كل من لم يجد القوت من التعفف وستر احتياجه هذا
وصبر ورضى يكون داخلا تحت هذه الاخبار وتثبت له الفضيلة التي وردت
فيها ، ولا ريب في ان هذه صفة لا توجد في الف الف واحد .

واما الفقير الحريص الذي يظهر فقره ويجزع معه ، فظاهر بعض الاخبار
وان تناوله ، الا ان الظاهر خروجه منها كما اومأت اليه بعض الاخبار
المذكورة وان كان احسن حالا من الغني الذي مثله في الحرص .

فصل

الموازنة بين الفقر والغنى

لا ريب في ان الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ افضل من الغنى
مع الحرص والامساك ، كما لا ريب في ان الغنى مع الاتفاق وقصد الاستعانة
على العبادة افضل من الفقر مع الحرص والجزع ، وانما وقع الشك في
الترجيح بين الفقر والغنى في مواضع :

(الاول) في الترجيح بين الفقر مع الصبر ، والقناعة والغنى مع الاتفاق
وقصد الاستعانة على العبادة ، فقال قوم ان الاول افضل ، لما روي : « ان
رسول الله (ص) قال لاصحابه : أي الناس خير ؟ فقالوا : موسر من المال
يعطي حق الله تعالى من نفسه وماله » فقال : نعم الرجل هذا وليس به
المراد ، قالوا فمن خير الناس يا رسول الله ؟ فقال : فقير يعطي جهده » ،
وما روي : « ان الفقراء بعثوا رسولا الى رسول الله (ص) ، فقال : اني
رسول الفقراء اليك » فقال : مرحبا بك وبن جئت من عندهم ، جئت من
عند قوم احبهم ، فقال : قالوا ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا تقدر
عليه ، ويعتسرون ولا تقدر عليه ، واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة
لهم ، فقال النبي (ص) : بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث
خصال ليست للاغنياء : اما (الاولى) فان في الجنة غرضا ينظر اليها اهل الجنة
كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء ، لا يدخلها الا نبي فقير ، او
شهيد فقير ، او مؤمن فقير ؛ (والثانية) يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء

بنصف يوم وهو خمسمائة عام . (والثالثة) اذا قال الغني : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، وقال الفقير مثل ذلك ، لم يلحق الغني بالفقير وان اتفق فيها عشرة الاف درهم ، وكذلك اتصال البر كلها ، فرجع اليهم ، فقالوا رضيتم .

وقال آخرون : الثاني افضل ، لان الغنى من صفات الربوبية ، والفقر من لوازم العبودية ، ووصف الحق افضل من وصف العبد .

(واجيب عنه) بأن غنى الواجب سبحانه ليس بالاسباب والانغراض ، وغنى العبد بهما ، اذ هو غني بوجود المال ومفتقر الى بقائه ، فاني يكون الغنى الذي يتصف العبد به من اوصاف الربوبية ، نعم الغنى بمعنى الاستغناء من وجود المال وعدمه جميعا بأن يستوي كلاهما عنده يشبه اوصاف الحق ، الا انك قد عرفت انه نوع من الفقر ، وبأن التكبر من اوصاف الربوبية ، فينبغي ان يكون افضل من التواضع ، مع ان الامر ليس كذلك ، بل الحق ان الافضل للعبد انما هو صفات العبودية كالخوف والرجاء ، اذ صفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ، ولذلك قال الله سبحانه : « والعظمة ازارني » والكبرياء ردائي ، فمن نازعني فيهما قضته . وعلى هذا فالفقر افضل من الغنى .

والحق ان ترجيح واحد من صفات الربوبية وصفات العبودية على الآخر للعبد على الاطلاق غير صحيح ، اذ كما ينتقض ترجيح الاولى على الثانية بالتكبر ينتقض العكس بالعلم والمعرفة والجهل والغفلة ، فان العلم من صفات الربوبية ، والجهل من صفات العبودية ، مع ان الاول افضل من الثاني ضرورة . والحق ان الافضل من الفقر والغنى ما لا يشغل العبد عن الله ، فان كان الفقر يشغله فالغنى اولى به ، وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى به ، وذلك لان الغنى ليس محذورا بعينه ، بل لكونه عائقا عن الوصول الى الله ، والفقر ليس مطلوبا لذاته ، بل لعدم كونه عائقا عن الله ، وليس مانعية الاول وعدم مانعية الثاني كلياً ، اذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد وكم من غنى لا يصرفه الغنى عنه ، اذ الشاغل ليس الا حب الدنيا ، لمضادته حب الله تعالى ، والمحبة للشيء مشغول به ، سواء كان في وصاله أو في فراقه .

فأذن فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال وجودا وعدما ، فإن تساويا فيه تساوت درجتهم . وإن تفاوتا فيه فأيهما أقل تعلقا درجته أعلى وأفضل بل مع وجود تعلق لهما وتساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجة من المال أفضل من فقد ، إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة والطاعة . ومع عدم تعلق قلبهما أصلا بحيث يستوي عندهما وجود المال وعدمه كان المال عندهما كهواء الجو وماء البحر — وبالجمله حصلت لهما المرتبة الاخيرة من الفقر ، اعني الاستغناء والرضا — كان الواجد افضل من الفاقد ، لاستوائهما في عدم الالتفات اليه ، ومزية الواجد باستفادة ادعية الفقراء والمساكين .

ثم الحكم بأقطاع القلب رأسا عن المال وجودا وعدما انما يتصور في الشاذ النادر الذي لا يسمح الدهر بشئه الا بعد ازمة متطاولة ، وقلوب جل الناس غير خالية عن حب المال والتعلق به . فتفصيل القول بافضلية من هو أقل تعلقا بالمال ، استواء درجتهم مع استوائهما في التعلق ، ومزية الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبهما بالكلية عنه مزية الاقدام وموضع الفرور ، إذ الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به ، وانما يشعر به اذا فقد ، فما عدا الانبياء والاولياء وشرذمة قليلة من اكابر الاتقياء لو فطنوا لأقطاعهم عن الدنيا اذا جربوا أنفسهم بأخراج المال من أيديهم يظهر لهم أنهم مغرورون وليس لهم تمام الاقطاع عن الدنيا ، واذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فليطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الناس وأفضل ، لانه عن الخطر أبعد ، إذ فتنة السراء من فتنة الضراء أشد ، وعلاقة الفقير وانسه بالدنيا غالباً اضعف ، وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب أذكاره وعبادته ، إذ حركات اللسان والجوارح ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور وتأثيرها في إثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور أشد من تأثيرها في قلب مشغول ، ولهذا وردت الاخبار مطلقة في فضل الفقر على الغنى ، وفي فضل الفقراء على الاغنياء .

(الثاني) في الترجيح بين الفقر مع الحرص والجزع ، والغنى مع الحرص والامساك . والتحقيق فيه أن مطلوب الفقير ان كان مالا يبد منه في

المعيشة وكان حرصه في تحصيل هذا القدر دون الزائد منه وكان قصده الاستعانة به على الدين ، وكذا كان حرص الغنى وامساكه في هذا القدر بهذا القصد ، فحال الوجود أفضل لأن الفقد يصده عن أمور الدين لا يضطراره في طلب القوت ، وهو أولى بالتفضيل إذا كان قصد الغنى ذلك وكان مطلوب الفقير فوق الحاجة ، أو قدر الحاجة بدون قصد الاستعانة به إلى أمر الدين . وإن كان مطلوب كل منها فوق الحاجة ، أو لم يكن قصدهما الاستعانة به على أمر الدين ، فالتفقد أصلح وأفضل ، لانهما استويا في الحرص وحب المال ، وفي عدم قصد الاستعانة به على الدين ، لكنهما اختلفا في أن الواحد يتأكد حب الدنيا في قلبه ، ويطمئن إليها لأنسه بها ، والفاقد يتجافى قلبه عنها اضطرابا ، أو تكون الدنيا عنده كالسجن الذي يطلب الخلاص منه . وهو أولى وأحرى بالتفضيل ، إذا كان قصد الفقير ذلك وكان قصد الغنى فوق الحاجة ، أو قدر بدون الاستعانة به على أمر الدين .

(الثالث) في الترجيح بين فقير حريص متكالب على الدنيا ليس له هم سواه ، وغنى هو دونه في الحرص على حفظ المال ، وتفجعه بفقد المال لو فقدته أقل من تفجع الفقير بفقده ، والظاهر حينئذ كون الفقير أسوأ حالا ، إذ البعد عن الله بقدر قوة التفجع بفقد المال ، والقرب بقدر ضعف التفجع به .

فصل

ما ينبغي للفقير

ينبغي للفقير ألا يكون كارها للفقير من حيث أنه فعل الله ومن حيث أنه فقير ، بل يكون راضيا به طالبا له فرحانا به لعلمه بفوائد الغنى ، وأن يكون متوكلا في باطنه على الله ، واثقا به في إتيان قدر ضرورته ، ويكون قانعا به ، كارها للزيادة عليه ، منقطع الطمع عن الخلق ، غير ملتفت إلى ما في أيديهم ، وغير حريص على اكتساب المال كيف كان ، وأن يكون صابرا شاكرا على فقره ، قال أمير المؤمنين (ع) : « إن الله عقوبات بالفقر ، ومشوبات بالفقر ، فمن علامات الفقر إذا كان مشوبة أن يحسن عليه خلقه ، ويطيع به ربه ، ولا يشكو حاله ، ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن

علاماته اذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ، ويعصى ربه بترك طاعته ، ويكثر الشكاية ، ويتسخط بالقضاء ، وهذا يدل على أن كل فقير ليس مثابا على فقره ، بل من يرضى بفقره ، ويفرح به ، ويقنع بالكفاف ، ويقصر الامل ، وان لم يرض به وتشوف الى الكثرة وطول الامل ، وفاته عز القناعة ، وتدنس بذل الحرص والطمع ، وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق ، وارثكأب المنكرات الخارقة للمروآت حبط أجره وكان آثما قلبه . وينبغي أن يظهر التعفف ويستر الفقر ويستر أنه يستر ، وألا يخالط الاغنياء ، ولا يرغب في مجالستهم ، ولا يتواضع لهم لاجل غناهم بل يشكر عليهم . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله ، واحسن منه تبه الفقير على الغني ثقة بالله » ، وألا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء ، وطمعا بما في أيديهم ، ولا يفتر بسبب فقره عن عبادة الله ، ويذل قليل ما يفضل عنه ، فان ذلك جهد المقل ، وفضله أكثر من أموال كثيرة يبذلها الغني ؛ قال رسول الله (ص) : « درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف دينار » ، قيل وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « أخرج رجل من عرض ماله مائة الف دينار يتصدق بها ، وأخرج رجل درهما من درهمن لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف دينار » ، وينبغي ألا يدخر أزيد من قدر الحاجة ، فان لم يدخر أكثر من قوت يومه وليلته فهو من الصديقين ، وان لم يدخر أكثر من قوت اربعين يوما كان من المتقين ، وان لم يدخر أكثر من قوت سنة — وهو الفضل المشترك بين الفقر والغنى — كان من الصالحين ، ولو زاد عليه خرج عن زمرة الفقراء .

فصل

وظيفة الفقراء

ما يعطى الفقير بغير سؤاله : ان كان (حراما أو شبهة) وجب عليه رده والاجتناب عنه ، وان كان (حلالا) ، فان كان (هدية) استحب قبوله تأسيا برسول الله (ص) ان لم تكن فيه منة ، ولو كانت فيه منة فالاولى تركه . وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول له أتركه عندك ،

وانظر ان كنت انما بعدقبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى
أخذه والا فلا . وعلامة ذلك أن يشق على المعطي رده ، ويفرح بالقبول ،
ويرى المنة على نفسه في قبوله ، وإن كان (صدقة أو زكاة) أو غير ذلك
مما يكون للشواب المحض فينبغي أن ينظر في استحقاقه لذلك ، فإن كان
من أهله قبله والا رده ، وإن كان المعطي أعطاه لوصف يعلمه فيه كعلمه أو
ورع أو كونه علويًا ، ولو لم يكن له هذا الاختصاص لنفر طبعه ، ولما
تقرب إلى الله بأعطائه ، ولم يكن له باطنا كذلك فأخذه حرام ، وإن لم
يكن هدية ولا صدقة بل إعطاء للشهرة والرياء والسمعة فينبغي أن يرد عليه
ولا يقبله ، والا كان معينا له على غرضه الفاسد ، والاعانة على الإثم اثم .

فصل

موارد قبول العطاء وردها

ما يعطي الفقير أن كان محتاجا إليه ولم يكن أزيد من حاجته فالأفضل
له الأخذ إذا سلم من الآفات المذكورة ، قال رسول الله (ص) : « ما
المعطي من سعة بأعظم أجرا من الأخذ إذا كان محتاجا » ، وقال (ص) :
« من آتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فأنما هو رزق
ساقه الله إليه فلا يرده » ، وإن كان زائدا على قدر حاجته فليرد الزائد
إن كان طالبا لمزق الآخرة ، إذ الزيادة على قدر الحاجة إنما يأتيك ابتلاء
وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة يأتيك وفقا بك ، فأقت
في أخذ قدر الحاجة مثاب ، وفيما زاد عليه إما عاص أو متعرض للحساب ،
قال رسول الله (ص) : « لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه ،
وثوب يوارى عورته ، وبيت يسكنه ، فما زاد فهو حساب » ، فلا ينبغي
لطالب السعادة أن يأخذ الأزيد من قدر الحاجة ، إذ النفس إذا رخصت
في نقض العزم والعهد ألقت به ، وردها بعد الألف والعادة مشكل .

والحاصل أن أخذ قدر الحاجة راجح لكونه مما لا بد منه ، وإيجابه
ثواب المعطي ، ولذلك لما أمر موسى بن عمران (ع) بأن يفطر عند بني
إسرائيل قال : إلهي ما بالي فرقت رزقي على أيدي بني إسرائيل يفديني
هذا يوما ويعيشني هذا ليلة ، فأوحى الله إليه : « هكذا أصنع بأوليائي

تُجرى أروافهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم » . فلا ينبغي أن يرى المعطى إلا من حيث أنه مسخر مأجور .

وأما أخذ الزيادة على قدر الحاجة فليس مما ينبغي ، نعم من كان حاله التكفل بأمور الفقراء والاتفاق عليهم ، لما في طبعه من البذل والسخاء ، والرفق والعطاء ، فيجوز له أخذ الزيادة لبيدائها على المستحقين ، ولكن يلزم أن يبادر إلى الصرف إليهم ولا ينبغي أن يدخر ، إذ في أمسكه ولو في يوم واحد أو ليلة واحدة فتنة واختبار ، فربما مالت النفس إلى الإمساك ويصير وبالا عليها ، وقد قل أن جماعة تصدوا لخدمة الفقراء والتكفل لأحوالهم فخدعتهم النفس الامارة بإغانة الشيطان فأتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال ، والتنعم في المطعم والمشرب ، وانجر أمرهم إلى الهلاك .

فصل

لا يجوز السؤال من غير حاجة

ينبغي للمؤمن ألا يسأل الناس من غير حاجة اضطر إليها ، بل يستعف عن السؤال ما استطاع ، لأنه فقر معجل ، وحساب طويل يوم القيامة . والاصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من الله ، وإذلال السائل نفسه عند غير الله ، وإيذاء المسؤل غالبا ، إذ ربما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب القلب ، وبعد السؤال ألجأه الحياء أو الرياء إليه ، ومعلوم أن الاعطاء استحياء أو رياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم إياه إلى البخل لا يكون له حلية شرعا .

وتضمنه هذه المفاسد ورد في الشريعة المنع منه ، قال رسول الله (ص) : « مسألة الناس من القواحش » ، وقال (ص) : « من سأل عن ظهر غنى فأنما يستكثر من جبر جهنم » ، ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتققع ليس عليه لحم » . وقال : « من سأل الناس وعنده قوت ثلاثة أيام لقي الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم » ^(٥٥) وقال (ص) : « ما من عبد فتح على نفسه بابا من المسألة إلا فتح الله عليه سبعين بابا من »

^(٥٥/) روى هذا الحديث عنه عن الصادق (ع) (الوسائل كتاب الزكاة

الفقر » . وقال : « ان المسألة لاتحل الا بفقر مدقع او غرم مفلطح » .
وقال : « السؤال عن ظهر غنى صداع في الرأس ، وداء في البطن » .
وقال : « من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما هي جرة فليستقل منه أو
ليستكثر » .

وروى : « انه جاءت فخدم من الانصار الى رسول الله (ص) فسلموا
عليه فرد عليهم السلام ، فقالوا يارسول الله ان لنا اليك حاجة فقال :
(هاتوا حاجتكم) فقالوا انها حاجة عظيمة فقال : (هاتوها ماهي) قالوا :
تضمن لنا على ربك الجنة ، فنكس رأسه ، ثم نكت (٥٦) في الارض ، ثم
رفع رأسه فقال : (أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا أحدا شيئا) ، فكان
الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه ، فيكره ان يقول لانسان فاولنية
فرارا من المسألة وينزل فيأخذه ، ويكون على المائدة ويكون بعض الجلساء
أقرب الى الماء منه فلا يقول فاولني حتى يقوم فيشرب » (٥٧) وبائع (ص)
قوما على الاسلام ، فاشتراط عليهم السمع والطاعة ، ثم قال لهم خفية :
« لاتسألوا الناس شيئا » ، فكان بعد ذلك تقع المحفرة من يد أحدهم
فينزل لها ولا يقول لأحد فاولنيها . وكان (ص) يأمر غالبا بالتعفف عن
السؤال ، ويقول : « من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى اغناه الله ومن لم
يسألنا فهو أحب الينا » وقال : « وما قل من السؤال فهو خير » قالوا :
ومناك يارسول الله ؟ قال : « ومتى » . وقال : « لو أن أحدكم أخذ جبلا
فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويكف بها وجهه ، خير له من أن
يسأل » .

وقال سيد الساجدين (ع) : « ضمنت على ربي أنه لايسأل أحد
أحدا من غير حاجة الا اضطرته المسألة يوما الى أن يسأل من حاجة »
ونظر (ع) يوم عرفة الى رجال ونساء يسألون ، فقال « هؤلاء شرار خلق
الله ، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس » ، وقال الباقر (ع):
« اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه »

(٥٦) نكت الارض بقضيب او بأصبعه ضربها به حال التفكير فاكثرت فيها.

(٥٧) صححنا الحديث على الوسائل كتاب الزكاة أبواب الصدقة الباب

٢٢ الحديث ٤) وهو يرويه عن الكافي .

باب فقر » ، وقال الصادق (ع) : « طلب الحوائج الى الناس استلاب (٥٨) المعز مذهبة للحياء ، واليأس مسا في أيدي الناس عز للؤمن في دينه ، والطبع هو الفقر الحاضر » . وقال الصادق (ع) : « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحد ، ولو يعلم المسئول ما عليه اذا منع ما منع أحد أحد » . وقال : « من سأل من غير حاجة فكأنما يأكل الجبر » . ثم المنع والتحريم انما هو في السؤال بدون الاضطرار ، وأما مع الحاجة والاضطرار فلا ريب في جوازه ، وقد وردت به الرخصة ، قال الله سبحانه :

« وأما السائل فلا تنهر » (٥٩) .

وقال رسول الله : « لاتردوا السائل ولو بشق تمر » وقال (ص) : « لولا أن السائل يكذب ما قدس من ورده » وقال (ص) : « للسائل حق وان جاء على الفرس » وقال (ص) : « لاتردوا السائل ولو بقلبك محترق » (٦٠) . ولو كان السؤال مطلقا حراما لما أجاز الله ورسوله اعانة العاصي على معصيته .

ثم الحاجة المجوزة للسؤال : ما بلغت حد الاضطرار ، كسؤال الجائع الخائف على نفسه بالموت او المرض لو لم يصل اليه قوت ، وسؤال العاري الذي بدنه مكشوف ويخاف من الحر والبرد — أو لم تبلغ اليه ، وهي اما حاجة (مهمة) كالاحتياج الى العجة في الشتاء بحيث لو لاها لتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهي الى حد الضرورة ، والاحتياج الى الكرى مع القدرة على المشي مع المشقة ، او حاجة (خفيفة) كالاحتياج الى الادام مع وجود الخبز — فالظاهر جواز السؤال في جميع ذلك (مع رجحانه في الاول ، وإباحته في الثاني ، ومرجوحيته في الثالث) ، بشرط اخلائه عن المحذورات المذكورة ،

(٥٨) الاستلاب بمعنى السلب ، وهو من باب الافتعال .

(٥٩) الضحى ، الآية : ١٠ .

(٦٠) صححنا اكثر الاحاديث هنا على ما في سفينة البحار الجزء الاول

ص ٥٨٥ وكتيب الزكاة من الوسائل ابواب الصدقة باب ٢٣ - ٢٧ واحياء الاحياء في كتاب الفقر .

أمني . الشكوى والذل والايذاء . وتدفع هذه المحذورات بأن يظهر حاجته تعريضا بعد تقديم الشكر لله ، وإظهار الاستغناء عن الخلق عند بعض الأصناف ، أو الاستغناء ، إذ السؤال من الصديق لا يوجب الإذلال ، والسخط لا يتأذى بالسؤال بل يفرح به .

ثم ما ذكرنا هو في السؤال للاحتياج اليه بعد النسبة لما يحتاج اليه في الحال . وأما السؤال لما يحتاج اليه في الاستقبال ، فإن كان يحتاج اليه بعد السنة فهو حرام قطعاً . وإن كان يحتاج اليه قبلها ، سواء كان بعد أربعين يوماً من يومه أو خمسين أو أقل أو أكثر . فإن أمكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجة فلا يحل له السؤال ، وإن علم بأنه لا يتسكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهة والمرجوحية . وكلما كان تراخي الحاجة عن يومه أكثر كلفت الكراهة أشد . ثم معرفة درجات الحاجة وضعفها وشدتها والوقت الذي يحتاج فيه موكول إلى العبد ومنوط باجتهاده ونظره لنفسه بينه وبين الله . فليعمل به بعد استغناء قلبه على ما يقتضيه سلوك طريق الآخرة ، وكلما كان يقينه أقوى ، وثقته بسجي الرزق أتم ، وقناعته بقوة الوقت أظهر ، فدرجته عند الله أعلى .

فيا حبيبي . لا تهبط نفسك من أوج التوكل والاعتماد على الله إلى حضيض الخوف والاضطراب في مجيء رزقك ، ولا تصنع إلى تخويف الشيطان ، فإنه يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، وكن مطمئناً بوعده ربك ، إذ قال :

« والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » (٦١) .

واسمع قول نبيك (ص) حيث قال : « لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطيور ، تعدوا خماصها وتروح بطانا » .
ومنها :

الحرص

وهو معنى راتب في النفس ، باعث على جميع مالا يحتاج اليه ولا يفيد من الأموال ، من دون أن ينتهي إلى حد يكتفى به ، وهو أقوى شعب حب

الدنيا واشهر انواعه . ولاريب في كونه ملكة مهلكة وحسنة مضلة ، بل بادية مظلمة الارحاء والاطراف . وهابية غير متناهية الاعماق والاكثاف ، من وقع فيها ضل وباء ، ومن سقط فيها هلك وما عاد . والتجربة والاعتبار والاخبار والآثار متظاهرة على ان الحريص لا ينتهي الى حد يقف دونه ، بل لا يزال يخوض في غمرات الدنيا الى ان يفرق . وتطرحه ارض الى ارض حتى يهلك . قال رسول الله (ص) : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب ، لا لبغى وراءهما ناك . ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » . وقال (ص) : « منهومان لا يشبعان : منهوم العلم ، ومنهوم المال » . وقال (ص) : « يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان : الحرص ، وطول الامل » . وقال ابو جعفر الباقر (ع) : « مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز . كلما ازدادت على نفسها لفا كان أبعد لها من الخروج ، حتى تموت غسا » . وقال الصادق (ع) : « ان فينا نزل به الوحي من السماء : لو ان لابن آدم واديين يسيلان ذهبا وفضة لا تبغى لهما ثالثا . يا ابن آدم ، انما بطنك بحر من البحور وواد من الاودية ، لا يسلاها شيء الا التراب » . وقال بعض الاكابر : « من عجيب أمر الانسان ، انه لو تودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التسع وتوقع الزوال » . ثم ما ورد من الاخبار في ذمه اكثر من ان تحصى ، ولا حاجة الى ايرادها لاشتهارها . وقال الباقر (ع) : « رب حريص على أمر قد شقى به حين أتاه ، ورب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه » . وأي خسران أشد من أن يسعى الانسان في طلب به هلاكه ؟ وأي تأمل في أن كلما يحرس عليه الانسان من أموال الدنيا يكون مهلكا له ؟ !

وصل

القناعة

ضد الحرص (القناعة) . وهي ملكة للنفس : توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال ، من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه ، وهي صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل ، وعدمها يؤدي بالعبد

الى مساوي الاخلاق والرزائل ، وهي المظنة للوصول الى المقصد ، وأعظم الوسائل لتحصيل سعادة الابد ، اذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ، ويقتصر على أقله قدر أو أخسه نوعا ، ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ، ولا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك ، كان فارغ البال مجتنب الهم فيتسكن من الاشتغال بامر الدين وسلوكه طريق الآخرة ، ومن فاتته القناعة وتدنى بالحرص والطمع وطول الأمل ، وخاض في غمرات الدنيا ، تفرق قلبه وقشت امره . فكيف يسكنه التمسك لتحصيل امر الدين والوصول الى درجات المتقين ؟ ولذلك ورد في مدح القناعة ما ورد من الاخبار ، قال رسول الله (ص) : « طوبى لمن هدى للإسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع به وقال : « ما من أحد ، من غنى ولا فقر ، الا ود يوم القيامة أنه كان اوتى قوتا في الدنيا » . وقال (ع) : « ايها الناس ، اجعلوا في الطلب ، فانه ليس للعبد الا ما كتب له في الدنيا ، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتي به ما كتب له في الدنيا وهي رغبة » . وقال (ص) : « نكت روح القدس في روعي : انه لن تسوت نفس حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله واجعلوا في الطلب » . وقال (س) : « كن ورعا تكن اعبد الناس ، وكن قانعا تكن اشكر الناس . واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » وفي الخبر القدسي « يا ابن آدم ، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت ، فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك ، فاقا اليك محسن » . وروي : « ان موسى سأل ربه تعالى . وقال : أي عبادك أغنى ؟ قال : اقنعهم لما اعطيته » . وقال أمير المؤمنين (ع) : « ابن آدم » : ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك ، فان اسر مافيها يكفيك ، وان كنت انسا تريد مالا يكفيك ، فان كل مافيها لا يكفيك » وقال ابو جعفر الباقر (ع) : « اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك ، فكفى بما قال الله عز وجل لنيه صلى الله عليه وآله :

« فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم » (٦٢) . وقال : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا » (٦٣) .

(٦٢) التوبة ، الآية : ٥٦ .

(٦٣) طه ، الآية : ١٣١ .

فإن دخلك من ذلك شيء . فاذكر عيش رسول الله (ص) فإنما كان قوته
الشعير ، وجلواه النسر ، ووقوده السعف إذا وجدته (٦٤) وقال : « من
قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس » . وقال الصادق (ع) « من رضى من
الله باليسير من المعاش رضى الله عنه باليسير من العمل » وقال : « مكتوب
في التوراة : ابن آدم . كن كيف شئت كما تدين تدان » من رضى من الله بالقليل
من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ، ومن رضى باليسير من الحلال خفت
مؤنته وزادت مكسبته وخرج من حد الفجور » وقال : « أن الله عز وجل
يقول : يحزن عبدي المؤمن أن قُترت عليه ، وذلك اقرب له منى ، ويفرح
عبدي المؤمن أن وسعت عليه . وذلك أبعد له منى » وقال : « كلما ازداد
العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته » . والأخبار الواردة في فضيلة القناعة
أكثر من أن تحصى . وما أوردناه كاف لأهل البصيرة .

فصل

علاج الحرص

طريق المعالجة في إزالة الحرص وتحصيل القناعة : أن يتذكر أولاً ما في
القناعة من المدح والشرافة ، وعز النفس وفضيلة الحرية ، وما في الحرص من
الدم والمهانة ، وتحصيل الذلة ومتابعة الشهوة . ويعرف أن من لا يؤثر عز النفس
على شهوة البطن ، فهو قليل العقل ناقص الإيمان . ثم يتذكر ما في جميع المال
من الآفات الدنيوية والعقوبات الأخروية ، ويتكرر التأمل فيما مضى عليه عظماء
الخلق وأعرص أصنافهم ، أعني الأنبياء والأوصياء ومن سار بسيرتهم من السلف
الأتقياء ، من حبرهم على القليل ، وقناعتهم باليسير ، وفيما يجري عليه
الكفار من الهندو واليهود والنصارى وأراذل الناس وأغنيائهم وأمثالهم ،
من التمتع وجسع المال الكثير . وبعد هذا التأمل لأظنه يشك في أن الاقتداء
بأعرص الخلائق أحسن من الاقتداء بأراذلهم ، بل المتأمل يعرف أن الحرص

(٦٤) صححنا الحديث وما قبله على ما في (الكافي) : باب القناعة :
وكذا الحديثين المذكورين بعده . إلا أن هذا الحديث مروى في (الكافي) عن
أبي جعفر — عليه السلام — . وروى في (الوسائل) عن كتاب الزهد .
في أبواب جهاد النفس من كتاب الجهاد : الباب ٦١ الحديث ١١ : ما يقرب
من عبارة هذا الحديث عن أبي عبد الله — عليه السلام — .

فقال النبي (ص) : « ما يدريك انه شهيد ؟ فلعنه كان يتكلم بسلا يعنيه ، أو يبخل بسا لا ينقصه » . وقال (ص) : « ان الله يبغض البخيل في حياته والسخي عند موته » . وقال (ص) : « السخي الجهول أحب الى الله عز وجل من العابد البخيل » . وقال : « الشح والايسان لا يجتمعان في قلب واحد » . وقال أيضا : « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق » . وقال (ص) : « لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا » . وقال (ص) : « يقول قائلكم : الشحيح أعذر من الظالم . وأي ظلم أظلم عند الله من الشح ؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل » . وقال : « اللهم اني أعوذ بك من البخل ! » . وروي « انه (ص) كان يطوف بالبيت ، فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي ! قال رسول الله (ص) : وما ذنبك ؟ صفه لي . قال : هو أعظم من أن أحصه لك . قال : ويحك ! ذنبك أعظم أم الارضون ؟ قال بل ذنبي يا رسول الله . قال (ص) : ويحك ! ذنبك أعظم أم الجبال ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال (ص) : ذنبك أعظم أم البحار ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله قال (ص) : ذنبك أعظم أم السماوات ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال : ذنبك أعظم أم العرش ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله . قال : ذنبك أعظم أم الله ؟ قال : بل الله أعظم وأعلى وأجل . قال : ويحك ! فصف لي ذنبك . قال : يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال ، وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار . فقال رسول الله (ص) : اليك عني ! لاتحرقني بنارك ! فوالذي بعثني بالهداية والكرامة ، لو قست بين الركن والمقام ، ثم صليت التي ألف عام نوبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وأنت لئيم ، لأكبك الله في النار ! ويحك ! أما علمت أن الله يقول : « ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه » (٧٩) . « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » ؟ ! (٨٠) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « سيأتي على الناس زمان عضوض . بعض

(٧٩) محمد ، الآية : ٣٨ .

(٨٠) الحشر ، الآية : ٩ . التغابن ، الآية : ١٦ .

المؤمن على مافي يديه ، ولم يؤمر بذلك . قال الله تعالى :

« ولا تنسوا الفضل بينكم » (٨١) .

وروي : « أنه ما من صباح الا وقد وكل الله تعالى ملكين يتناديان : اللهم اجعل لكل مسك تلقا ، ولكل منك خلفا » . والاعبار في ذم البخل أكثر من أن تحصى ، مع أن تضمنه للمفاسد الدنيوية والاخرية مما يحكم به الوجدان ولا يحتاج الى دليل وبرهان . حتى أن النظر الى البخل يقى القلب ، ومن كان له صفاء سريرة ، يكره قلبه ويظلم من ملاقاته ، وقد قيل : (أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه) .

وصل

السخاء

ضد البخل (السخاء) . وقد عرفت معناه . وهو من ثمرة الزهد كما أن البخل من ثمرة حب الدنيا . فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة أن يكون حاله القناعة ان لم يكن له مال . والسخاء واصطناع المعروف ان كان له مال . ولا ريب في كون الجود والسخاء من شرائف الصفات ومعالي الاخلاق ، وهو أصل من أصول النجاة ، وأشهر أوصاف النبيين ، وأعرف أخلاق المرسلين . وما ورد في مدحه خارج عن حد الاحصاء ، قال رسول الله (ص) : « السخاء شجرة من شجر الجنة ، أغصانها متدلية الى الارض ، فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة » . وقال (ص) : « ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة » . وقال (ص) : « السخاء شجرة تنبت في الجنة ، فلا يلج الجنة الا سخي » . وقال (ص) : « قال الله سبحانه : ان هذا دين ارتضيته لنفسي ، ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق ، فاكرموه بهما ما استطعتم » . وقال (ص) : « ما جعل الله أولياءه الا على السخاء وحسن الخلق » . وقال (ص) : « ان من موجبات المغفرة : بذل الطعام وافشاء السلام ، وحسن الكلام » . وقال (ص) : « ان السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار » . وقال (ص) :

عن النيران ودخول الجنان » . وقال الكاظم (ع) : « السخي الحسن الخلق في كنف الله ، لا يستخلي الله منه حتى يدخله الجنة . وما بعث الله نبيا ولا وصيا الا سخيا ، ولا كان أحد من الصالحين الا سخيا ، وما زال ابي بوصيني بالسخاء حتى مضى » .

فصل

معرفة ما يجب ان يبذل

لعلك تقول : انك قلت : السخاء هو الوسط بين الافتار والاسراف . وهو صرف المال الى ما يجب أو ينبغي صرفه اليه . وهذا غير كاف لمعرفة حد السخاء ، لتوقفه على معرفة ما يجب أو ينبغي ، وهو عندنا مبهم . قلنا : ما يجب أو ينبغي يتناول الواجب والاتق بحسب الشرع والمروءة والعادة . فالسخي هو الذي يؤدي واجب الشرع وواجب المروءة والعادة جميعا ، فان منع واحدا منها فهو بخيل ، وان كان الذي يمنع واجب الشرع أبخل . ثم ما يجب بذله شرعا مضبوط معين ، من الزكاة والخمس وغيرها من أطيب ماله أو وسطه دون الخبيث منه ، والاتفاق على أهله وعياله على قدر احتياجهم . فمن أدى جميع ذلك فقد أدى الواجب الشرعي ، ويستحق اسم السخي شرعا ، اذا كان الاداء بطيبة من قلبه ، من دون أن يشق عليه ، اذ لو شق عليه ذلك كان بخيلا بالطبع ومتسرخيا بالتكلف . وأما ما يجب مروءة وعادة ، فهو ترك المضايقة في بذل ما يستقبح المضايقة فيه عرفا وعادة وهو يختلف في الاحوال والاشخاص ، فتستقبح من الغنى المضايقة مالا يستقبح من الفقير ، ومع الاهل والاقارب مالا يستقبح مع الاجانب ، ومع الجار مالا يستقبح من البعيد ، وفي الضيافة مالا يستقبح أقل منه في المباينة والمعاملة ، ويستقبح من المضايقة في الاملعة مالا يستقبح في غيرها . وبالجمل : يختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة أو معاملة ، وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب أو فرش أو غير ذلك ، وبمن معه المضايقة من صديق أو قريب أو جار أو أجنبي أو بعيد ، وبمن منه المضايقة من غني أو فقير أو أمير أو رعية أو عالم أو جاهل أو صبي أو كامل . فالسخي هو الذي لا يمنع حيث ينبغي ألا يمنع شرعا أو مروءة أو عادة ، والبخل من

يمنع شيئا مما ينبغي ألا يمنع شرعا أو مروءة أو عادة . ولا يمكن التخصيص على مقدار ذلك ، فلعن جلد البخل هو امساك لغرض ذلك الغرض أهم من حفظ المال . وفي مقابلة الجود والسخاء .

ثم من يؤدي الواجب ويحفظ العادة والمروءة ، ولكن له مال كثير قد جمعه ، لا يصرفه الى المحتاجين ولا ينفقه في الصدقات المستحقة ليكون له عدة على نوائب الزمان ، وإن لم يكن بخيلا عند عوام الخلق ، ولكنه بخيل عند أهل الفطافة والكياسة . إذ النبري عن البخل والاتصاف بصفة الجود والسخاء لا يتحقق عندهم ما لم يبذل زيادة على قدر واجب الشرع وواجب المروءة والعادة اللاتقة به ، لنيل الفضيلة والثواب ، ووفيل الدرجات في الآخرة . وتختلف هذه الزيادة باختلاف مقدار ماله ، وبأختلاف حاجة المحتاجين وصلاحتهم وورعهم . فأتصافه بالجود ، بقدر ما تسع له نفسه من قليل أو كثير ، وتختلف درجات ذلك . فأصطناع المعروف أمر وراء ما توجه العادة والمروءة ، وهو الجواد بشرط أن يكون عن طيبة من النفس ، ولا يكون لأجل غرض ، من خدمة أو مدح وثناء . إذ من يبذل المال بعوض المدح والثناء أو غيره فليس بجواد ، بل هو يباع يشتري المدح بماله ، لكون المدح الذ عنده من المال .

فالجواد هو بذل الشيء عن طيبة من القلب من غير غرض ، وهذا وإن كان حقيقة ، إلا أنه لا يتصور في غير حق الله ، إذ ما من انسان يبذل الشيء إلا لغرض ، لكن إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة ، ورفع الدرجات ، واكتساب فضيلة الجود ، وتطهير النفس عن رذيلة البخل ، سمي جوادا ، وإن كان غرضه شيئا من الامور الدنيوية لم يسم جوادا .

تبيينه الايثار

أرفع درجات الجود والسخاء (الايثار) ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه . قال الله سبحانه في معرض الثناء على أهل الايثار :
« وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » (٨٧) .

وقال رسول الله (ص) : « ايما امرؤ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه ، غفر له » .

وكان الايثار من شعار رسول الله (ص) . ولقد قالت بعض زوجاته : « انه (ص) ما شبع ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا . ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا » . وروى : « ان موسى بن عمران قال : يا رب ، اربي بعض درجات محمد وامته . قال : يا موسى ، انك ان تصيب ذلك ، لكني اريك منزلة من منازل ، جايلة عظيمة ، فضلتها بها عليك وعلى جميع خلقي . قال (ص) : فكشف له عن ملكوت السماوات ، فنظر الى منزلة كادت ان تالف نفسه من انوارها وقربها من الله ، فقال : يا رب ، بماذا بلغت به الى هذه الكرامة ؟ قال تعالى : بخلق اختصاصه به من بينهم . وهو الايثار . يا موسى ، لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسنه ، وبواته من جنتي حيث يشاء » . وسئل الصادق (ع) : « اي الصدقة افضل ؟ قال (ع) : جهد المقل . اما سمعت قول الله عز وجل : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ » . وايثار علي (ع) غيره في جميع اوقات عمره مشهور . وفي الكتب مسطور . ولقد آثر حياة رسول الله (ص) على حياته ليلة المبيت ، فباهى الله به الملائكة ، وأنزل فيه :

« ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله » (٨٩) .

ولقد كان الخوارج من شيعته والمقتدون به في سنته وسيره ، يجتهدون في المحافظة على هذه الفضيلة مهما أمكن .

فصل

علاج مرض البخل

علاج مرض البخل يتم بعلم وعمل . والعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود ، والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف الى ان يصير طبيعا له . فكل طالب لازالة البخل وكسب الجود ينبغي ان يكثر التأمل في اخبار ذم البخل ومدح السخاء ، وما توعد الله به على البخل من العذاب

(٨٨) اي الراوي .

(٨٩) البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

العظيم . ويكثر التأمل في أحوال البخلاء وفي غرة الطبع عنهم ، حتى يعرف بنور المعرفة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة . ثم يكلف نفسه على البذل ومفارقة المال ، ولا يزال يفعل ذلك الى ان يهيج رغبته في البذل . وكلما تحركت الرغبة ينبغي ان يجتنب الخاطر الاول ولا يتوقف ، وان الشيطان يعمده الفقر ويخوفه ويوسوسه بأنواع الوسوس الصادة عن البذل .

ولو كان مرض البخل مزمنة غير مندفع بها مر . فمن معالجاته ان يخضع نفسه بضمين الاسم والاشتهار بالجود . فيبذل على فساد الرياء ، حتى تسبح نفسه بالبذل بلعا في الاشتهار بصفة الجود ، فيكون قد زال عن نفسه رذيلة البخل واكتسب خبث الرياء . ولكن يتعطف بعد ذلك على الرياء ويريد علاجه . ويكون طلب الشهرة والاسم كاتسلية للنفس عند فطامها عن المال . كما يسلى الصبي عند فطامه عن الثدي باللعب بالعصاير وغيرها . لا تكون اللعب مظاربا بذاته . بل لينتقل من الثدي اليه ثم ينتقل عنه الى غيره . فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلك بعضها على بعض حتى يدفع الجميع . فتسلط الشهوة على الغضب حتى تكسر سورته بها ، ويسلط الغضب على الشهوة حتى تكسر رعونتها به . وقد جرت سنة الله بدفع المؤذيات والمهلكات بعضها ببعض . الى ان يدفع الجميع ، سواء كانت من الصفات المؤذية او من الاشخاص المؤذية من الظلمة والاشرار ، الا ترى انه يسلك الظالمين والاشرار بعضهم على بعض الى ان يهلك الجميع ؟

ومثال ذلك . كما قيل : ان الميت تستحيل جميع اجزائه دودا ، ثم يأكل بعض الديدان بعضا . الى ان يرجع الى اثنين قوين . ثم لا يزالان يتقابلان ويتعارضان ، الى ان يغلب احدهما الآخر فيأكله ويسكن به . ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت . فكذلك هذه الصفات الخبيثة يسكن ان يسقط بعض على بعضها حتى يقسمها . فيجعل الاضعف قوت الاقوى ، الى ان لا يبقى الا واحدة . ثم تقع العناية بسحوها واذابتها بالمجاهدة ، وهو منع القوت منها . أي عدم العمل بمقتضاها . فانها تقتضي لا محالة آثارا فاذا خولفت خمدت وماتت . مثلا البخل يقتضي امساك المال ، فاذا منع مقتضاه

وبذل المال مع الجهد والمشقة مرة بعد أخرى، ماتت صفة البخل وصارت صفة
البذل طبعاً، وسقط التعب والمشقة فيه .

ثم العبد في علاجه أن يقطع سببه ، وسببه حب المال ، وسبب حب
المال : اما حب الشهوات التي يتوقف الوصول اليها على المال مع طول الامل
اذ لو لم يكن له طول امل وعلم انه يموت بعد ايام قلائل ربما لم يبخل بماله
او ادخاره وابقاؤه لاولاده ، فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه ، فيسلك المال
لاجلهم ، او حبه عين المال من حيث انه مال فيجب : فان بعض الناس من
المشايع والمعرين يكون له من المال ما يكفيه لغاية ما يتصور من بقية عمره
وتزيد معه اموال كثيرة ، ولا ولد له ليحتاط لأجله . مع ذلك لا تسمح نفسه
بإخراج مثل الزكاة ومدواة نفسه عند المرض ، بل هو محب للدقائق ، عاشق
لها ، يتلذذ بوجودها في يده . مع علمه بأنه عن قريب يموت ، فتضيع او
تأخذها اعداؤه ، ومع ذلك لا تسمح نفسه بأن يأكل منها أو يتصدق ببعضها ،
وهذا مرض عسر العلاج ، لاسيما في كبر السن . اذ حينئذ يكون المرض
مزمن والطبيعة المدافعة له قاصرة والبدن ضعيفا . ومثله مثل من عشق شخصا
فاحب رسوله ، ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فبان الدقائق
رسول مبلغ الى الحاجات . وهي محبوبة من هذه الحيشة ،
لامن حيث انها دقائق . فمن نسي الحاجات صارت الدقائق محبوبة
عنده في نفسها ، فهو في غاية الضلالة والخسران . بل من رأى الفاضل
منها عن قدر الحاجة وبين الحجر فرقا ، فهو في غاية الجهل .

ثم لما كان الطريق في قطع سبب كل علة أن يواظب على ضد هذا
السبب ، فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالبصير ، ويعالج طول
الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال
وضياعه بعدهم ، ويعالج التفات القلب الى الاولاد بأن الذي خلقهم خلق
أرزاقهم ، وكم من ولد لم يرث مالا من ابيه وحاله أحسن ممن ورث ، وبأن
يعلم ان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله ، وان كان فاسقا فيستعين بماله
على المعصية وترجع مظلمته عليه ، ويعالج حب المال من حيث انه مال ،
بأن يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق ، فلا يحفظ منه الا بقدر حاجته ،
وبذل الباقي على المستحقين وليبقى له ثوابه في الآخرة .

تذنيب

اعلم ان بذل الاموال واقفاؤها المترتب على صفة الجود والسخاء
يتناول أموراً : بعضها واجب ، وبعضها مندوب . وقد ورد في فضيلة كل
منها بخصوصه أخبار ، فلا بد لنا ان نشير الى ذلك تأكيداً لبيان فضل السخاء ،
والى بعض مآلها من الآداب والدقائق الباطنة ، ونحيل مآلها من الأحكام
والشروط الظاهرة الى كتب الفقه ، فنقول :
اما الأمور الواجبة ، فتؤولها :

الزكاة

والآيات والأخبار الواردة في ذم تاركها ومدح فاعلها كثيرة . قال
الله سبحانه :

« فاقموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٩٠) . وقال تعالى : « والذين يكتزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب اليم » (٩١) .
ومعنى الاتفاق في سبيل الله اخراج الزكاة ، كما ورد عن أهل البيت
— عليهم السلام — وأجمع عليه المفسرون . وقال رسول الله (ص) : « اذا
منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها » . وقال الباقر (ع) : « ان الله عز وجل
قرن الزكاة بالصلاة ، قال :

« فاقموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٩٢) .

فمن اقام الصلاة ولم يؤت الزكاة ، فلم يتم الصلاة . وقال الصادق (ع) :
« ما من ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله ، الا حبه الله يوم القيامة
بقاع قرقر ، وسلط عليه شجاعاً اقرع يريده وهو يحيد عنه ، فاذا رأى أنه
لا يتخلص منه ، أمكنه من يده ، فقتضها كما يقتضم الفحل ، ثم يصير طوقاً
في عنقه ، وذلك قول الله تعالى :

« سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٩٣) .

وما من ذي مال ابل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله ، الا حبه الله

١٩٠ و (٩١) الحج ، الآية : ٧٨ . المجادلة ، الآية : ١٣ .

(٩٢) التوبة ، الآية : ٣٥ .

١٩٣ آل عمران ، الآية : ١٨٠ .

وعلى هذا : فالإتفاق يظهر صاحبه من غيب البخل المولك ، وإنما تهاوت به
بقدر بذله ، وبقدر فرجه بأخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى .
الثالث — شكر النعمة : فإن لله سبحانه على عيده نعمة في نفسه ونعمة
في ماله . فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال .
وما أفصح بالغني المسلم أن ينظر الى فقير مسلم . وقد ضيق الرزق عليه واحوج
اليه ، ثم لا تسح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على نعمائه عن السؤال ،
واحواج غيره اليه ، بأعطاء عشر او ربع عشر من ماله .

فصل

الحث على التعجيل في الاعطاء

ينبغي للمعطي المنفق ، عند ظهور داعية الخير من بطنه ، ان يغتنم
الفرصة ، ويسارع الى الامتثال ، تعجيلا لادخال السرور في قلوب الفقراء .
وحذرا عن عوائق الزمان المانعة عن الخيرات ، وعلما بأن في التأخير آفات ،
وتنبها بأن التبعات داعية الخير لمة الملك ، وقلب المؤمن بين اصبعين من
اصابع الرحمن ، فلما اسرع تقايه ، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء
والمنكر ، وله لمة عقيب لمة الملك ، وصوتا للفقراء عن الاضطرار الى السؤال
اذ ورد : ان الاعطاء معه مكافاة لوجهه المبذول وثمن لما أخذ منه ، وليس
بمعروف . وروي : « أن أمير المؤمنين (ع) بعث الى رجل بخمسة أوساق
من تمر البغيضة . وكان الرجل ممن نرجى توافقه . ويؤمل نائله ورفده »
وكان لا يسأل غليا ولا غير شيئا . فقال رجل لأمير المؤمنين (ع) :
والله ما سألك فلان شيئا ! ولقد كان يجزيه من الخمسة أو ساق وسق واحد .
فقال له أمير المؤمنين (ع) : لا كثر الله في المؤمنين ضربك ! اعطى أنا ،
وتبخل أنت ! لله أنت ! اذا أنا لم أعط الذي يرجوني الا من بعد المسألة ،
ثم اعطيه بعد المسألة ، فلم اعطيه الا ثمن ما أخذت منه ، وذلك لاني
عرضته أن يبذل لي وجهه الذي يعفوه في التراب لربي وربّه عز وجل عند
تعبده له ويطلب حوائجه اليه . فمن فعل هذا بأخيه المسلم ، وقد عرف أنه
موضع لصلته ومعروفه ، فلم يصدق الله في دعائه ، حيث يتسنى له الجنة

بلسانه : ويخل عليه بالحظام من ماله « (٩٨) . ثم ينبغي أن يعين لأداء صدقته وقتا فاضلا ، كيوم الغدير وشهر ذي الحجة ، (لا) سيما العشرة الاولى ، أو شهر رمضان . (لا) سيما العشرة الاخيرة . وقد ورد أن رسول الله (ص) كان أجود الخلق . وكان في رمضان كالريح المرسلة . لا يسك فيه شيئا .

فصل

فضيلة اعلان الصدقة الواجبة

الصدقة الواجبة . أعني الزكاة : اعلانها أفضل من اسرارها — ان كان في اظهارها ترغيب للناس في الاقتداء . وأمن من تطرق الرياء . ولم يكن الفقير بحيث يستحي من أخذها علانية . قال الصادق (ع) : « كلسا فرض الله عليك ، فاعلانه أفضل من اسراره ، وكلسا كان تطوعا فاسراره أفضل من اعلانه ، ولو أن رجلا حصل زكاة ماله على عاقته وعلانته ، كان ذلك حسنا جميلا » . وقال في قوله تعالى :

« وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » (٩٩) :

« هي ما سوى الزكاة . فإن الزكاة علانية غير سر » . فلو دخل في نفسه الرياء مع الاظهار ، أو كان الفقير يستحي من أخذها علانية : كان الاسرار بها أفضل . أما الاول : فظاهر . وأما الثاني : فلما روى : « أنه قيل لابي جعفر الباقر (ع) : الرجل من اصحابنا يستحي من ان يأخذ من الزكاة ، فاعطيه من الزكاة ولا اسمى له انها من الزكاة . فقال : اعطه ولا تسم له ، ولا تذل المؤمن » .

وبالجملة : الاعلان كما يتصور فيه فائدة الترغيب ، يتطرق اليه محذور الرياء والمن والأذى ، وذلك يختلف بالاحوال والاشخاص . فبالنظر الى بعض الاحوال والاشخاص : يكون الاعلان أفضل ، وبالنظر الى بعض

(٩٨) صححنا الحديث على (الوافي) ٦٠ / ٢٨٦ : باب آداب الامطاء . قال : « البغيفة » ضيعة بالمدينة ، و « التوافل » : العطايا ، و « الله انت » : اي كن لله والنصفني في القول .
(٩٩) البقرة ، الآية : ٢٧١ .

آخر ، يكون الأسرار أفضل . فلا بد لكل منفق أن يلاحظ حاله ووقته ، ويقابل الفائدة بالمعذور ، ويختار ما هو الأفضل . ومن عرف القوائد والعوائل ، ولم ينظر بعين الشهوة ، انضح له ما هو الاولى والانيق .

فصل

ذم المن والاذى في الصدقة

ينبغي للمستصدق أن يجتنب عن المن والاذى . قال الله سبحانه :
« لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى » (١٠٠) . وقال : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى » (١٠١) .

وقال رسول الله (ص) : « ان الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال وكرهتهن للأوصياء من ولدي واتباعهم من بعدي : العبث في الصلاة ، والرفث في الصوم ، والمن بعد الصدقة ، واتيان المساجد جنبا ، والتطلع في الرفد ، والضحك بين القبور » .

و (المن) : أن يرى نفسه محسنا . ومن ثمراتها الظاهرة : الانفهار بالاتفاق ، والتحدث به ، وطلب المكافاة منه ، بالشكر والخدمة والتعظيم ، والمتابعة في الامور . و (الاذى) : التعيير ، والتوبيخ ، والاستخفاف ، والاستخدام ، والقول السيئ ، وتقطيب الوجه ، وهتك السر . ثم معرفة الاذى ظاهرة ، وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن . واما المن الباطني ، أي رؤية نفسه محسنا ، فيعرف بأن يكون استيعاده من خيانة القابض بعد اعطاء اكثر من استيعاده منه قبله .

وعلاج المن : أن يعرف أن المحسن هو الفقير القابض لا يصله الثواب والانجاء من العذاب ، وكونه نائبا عن الله تعالى ، وكون ما يعطيه حقا من الله سبحانه ، أحال عليه الفقير انجازا لما وعده من الرزق . وعلاج الاذى : أن يعرف أن سببه استكثار العطاء وكرهية اتفاق المال والتكبر على الفقير القابض برؤية نفسه خيرا منه ، لغنائه واحتياجه ، وجميع ذلك جهل وحماقة . اما استكثاره العطاء ، فلأن ما أعطاه بالنظر الى ما يطلبه لأجله

(١٠٠) البقرة ، الآية : ٢٦٤ .

(١٠١) البقرة ، الآية : ٢٦٣ .

من رضا الله وثواب الآخرة في غاية القلة والخسة ، وكيف يستعظم العاقل بذل خسيس فإن اذا أخذ في مقابله ، خشيئاً باقياً . واما استحقاقه الفقير ، فلما تقدم من فضل الفقير على الغنى ، فكيف يرى نفسه خيراً منه ؟ وكفى للفقير فضلاً : ان الله سبحانه جعل الغنى مسخرأ له : بأن يكتسب المال بالجهد والتعب ، ويسعى في حفظه ، ويسلمه الى الفقير بقدر حاجته ، ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلمه اليه . فالغنى يخدم الفقير في طلب المال ، مع كونه ما يحسد منه للفقير ، وكون ما يذم منه ، من تحمل المشاق وتقلد المظالم وحراسة الفضائل الى أن يموت فتأكله الاعداء ، على الغنى .

وبالجملة : العاقل ، بعد التأمل ، يعلم ان ما يعطيه قليل في مقابلة ما يأخذه ، وأن الفقير محسن اليه . قال أمير المؤمنين (ع) : « ومن علم أن ما صنع انما صنع الى نفسه ، لم يستطع ، الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتبس من غيرك شكر ما آتيت الى نفسك ووقيت به عرضك ، وأعلم ان الطالب اليك حاجة لم يكرم وجهه عن وجهك ، فأكرم وجهك عن رده » (١) . وينبغي للمحترز عن المن والاذى ان يتواضع ويتخضع للفقير عند اعطائه ، بأن يضع الصدقة لديه ، ويثقل قائماً بين يديه ، او يسبط كفه ليأخذ الفقير ، وتكون يد الفقير هي العليا .

فصل

ما ينبغي للمعطي

ومما ينبغي للمعطي ان يستصغر العظية ليعظم عند الله ، وان استعظمها صغرت عند الله ، قال الصادق (ع) : « رأيت المعروف لا يصلح الا بثلاث خصال : تصغيره ، وتسنيره ، وتعجيله . فأنت اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه ، واذا سترته تمته ، واذا عجلته هنأته ، وان كان غير ذلك محقته ونكذته » (٢) . واستعظام العطاء غير المن والاذى ، اذ الصرف الى عمارة المسجد ومثله يتأتى فيه الاستعظام ، ولا يتأتى فيه المن والاذى ، وأن يعطى

(١) صحيحنا الحديث على (الوافي) : ٢٩٠ / ٦ ، كتاب الزكاة ، باب ٥٧ المعروف وفضله .
(٢) صحيحنا الحديث على (الوافي) : ٢٩١ / ٦ ، كتاب الزكاة ، باب ٥٨ اداب المعروف .

« ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » (٦).

وقال الصادق (ع) : « إن الله تعالى يقول : ما من شيء إلا وقد وكلت به من قبضه غيري ، إلا الصدقة ، فإني ألقنها بيدي تلقفا ، حتى أن الرجل ليتصدق بالتمر أو بشق ثمرة ، فأريها له كما يرى الرجل قلوه وفصيله ، فتأتي يوم القيامة وهي مثل أحد وأعظم من أحد » (٧) .
وأن يلتبس الدعاء من الفقير ، لأن دعاءه يستجاب فيه ، كما روى : « أن علي بن الحسين (ع) كان يقول للخادم : أمسك قليلا حتى يدعوا ، فإن دعوة السائل الفقير لا ترد » . وأنه (ع) كان يأمر الخادم إذا أعطى السائل ، أن يأمره أن يدعو بالخير . وعن أحدهما ـ عليهما السلام ـ : « إذا أعطيتهم فلقنهم الدعاء ، فإنه يستجاب لهم فيكم ، ولا يستجاب لهم في أنفسهم » . وما قيل من أن أرباب القلوب لا يتوقعون الدعاء من القايض ، لأنه شبيه المكافاة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ، ولو أرسلوا معروفا إلى فقير ، قالوا للرسول احفظ ما يدنو به ليردوا عليه مثل قوله ، خلاف طريقة أئمتنا الراشدين ـ عليهم السلام ـ ، فلا اعتبار به عندنا .

ومما ينبغي له أيضا أن يصرف الصدقات إلى من يكثر باعطائه الأجر كأهل الورع والعلم ، وأرباب التقوى والصدق ، والكاملين في الإيمان والتشيع . قال رسول الله (ص) : « لا يأكل طعامك إلا نفي » . وقال صلى الله عليه وآله ـ : « أطعوا طعامكم الاتقياء » . وقال (ص) : « أضف بطعامك من تحبه في الله » . ولكن يرفعهم من الزكاة الواجبة والصدقات ، لأنها أوساخ الأموال ، ويوسع عليهم بالهدايا والصلوات ، ففي الخبر : « مستحقو الزكاة المستضعفون من شيعة محمد وآله : الذين هم تقو بصائرهم ، وأما من قويت بصيرته وحسنت بالولاية لأولياهم والبراءة من أعدائهم معرفته ، فذاك أخوكم في الدين ، أمس بكم رحما من الآباء والأمهات المخالفين ، فلا تعطوه زكاة ولا صدقة ، فإن مواليها وشيعتنا منا كالجسد الواحد ، تحرم على جماعة الزكاة والصدقة . وليكن ماعطونه

(٦) التوبة ، الآية : ١٠٥ .

(٧) صحيحنا الحديث على (الواق) : ٢٦٢/٦ ، باب فضل الصدقة .

أخوانكم المستبشرين البر ، وأرفعوهم عن الزكاة والصدقات ، ونزهوهم
عن أن تصبوا عليهم أو ساخكم . أوجب أحدكم . أن يغسل وسخ بدنه ثم
يصبه على أخيه المؤمن ؟ أن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن ، فلا
توسخوا اخوانكم ... » الحديث .

ولا ينبغي أن يصرف إلى من نظره إلى الوسائط ، بل ينبغي الصرف
إلى من بلغ مقام التوحيد ، ويرى النعمة من الله ، ولا ينظر إلى الوسائط .
إذ من لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط ، فغير
خال من نوع من الشرك الخفي . قال الصادق (ع) في قول الله تعالى :
« وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » (٨) :

« هو قول الرجل : لولا فلان لهلك ! ولولا فلان لما أصبت كذا !
ولولا فلان لضاع عيالي ! ألا ترى أنه قد جعل لله شريكا في ملكه ، يرزقه
أو يدفع عنه ؟ » فقال الراوي : يجوز أن يقال : لولا أن الله من علي
بفلان لهلك ؟ قال « نعم ! لا بأس بهذا » . ومن أهل المزية والاختصاص
بالبدل إليه ، من كان مستترا ساترا للحاجة ، كائنا من أهل المروة ، متغشيا
في جلباب التجمل ، محصورا في سبيل الله ، محبوسا في طريق الآخرة بعيلة
أو مرض أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب أو سبب آخر من الأسباب ،
والأولى من الكل الأقارب وأولو الأرحام من أهل الاحتياج ، فإن الاتفاق
عليهم صدقة وصله . وفي صلة الرحم من الثواب مالا يخفى ، قال أمير
المؤمنين (ع) : « لأن أصل أخا من أخواني بدرهم ، أحب إلي من أن
أصدق بعشرين درهما ، ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلي من أن أصدق
بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة » . وفي
خبر آخر : « لأصدقة وذو رحم محتاج ، الصدقة بعشرة والقرض بشماعة
عشر ، وصلة الإخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين » . وفي
الخبر : « أن أفضل الصدقات والصلوات الاتفاق على ذي الرحم الكاشح » :
يعني المبغض ، وكأنه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص والتقوى .

فصل

ما ينبغي للفقراء في اخذ الصدقة

ينبغي للفقير الأخذ أن يعلم أن الله تعالى اوجب صرف المال اليه ليكفي
مهنته ، فتتجرد للعبادة والاستعداد للموت ، فينبغي ان يتأهب لذلك ولا
يصرفه عنه فضول الدنيا ، ويشكر الله على ذلك ، ويشكر المعطي ، فيدعو
له ويشفي عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه ، قال رسول الله (ص) :
« من لم يشكر الناس لم يشكر الله » . وقال الصادق (ع) : « لعن الله
قاطعي سبيل المعروف قيل : وما قاطعو سبيل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع
اليه المعروف فيكفره . فيصنع صاحبه من أن يصنع ذلك الى غيره » (٩) وقال
أمير المؤمنين (ع) : « من صنع بشئ ما صنع اليه فأثما كافاء ، ومن
ضعفه كان شكورا ، ومن شكر كان كريما » .

وينبغي له أيضا ان يستتر عيوب صاحب العطاء ، ولا يذمه ولا يحقره ،
ولا يعيره بالمنع اذا منع ، ويثخم عند نفسه وعند الناس اعطاءه ، بحيث
لا يخرج عن كونه واسطة ، لئلا يكون مشركا ، وأن يتوقى مواقع الحرمة
والريبة والشبهة في أصله ومقداره ، فلا يأخذ من لا يحل ماله او يشتبه ،
كعسال السلاطين والجنود ومن أكثر كسبه من الحرام ، ولا الزيادة على قدر
الحاجة ، ولا يسأل على رأس المأ من يستحق الرد ، وأن يتورع العالم
والمتقى من أخذ الزكاة والصدقات مالم يضطر اليها ، تنزيها لنفسه عن الاوساح
وأن يستتر الأخذ بنية أنه ابقى لستر المروءة والتعفف ، وأصون لنفسه عن
الاهانة والاذلال ، وأعوز للمعطي على الاخفاء والاسرار ، وسلم لقلوب الناس
من الحسد وسوء الظن ، او يظهره بنية الاخلاص والصدق ، واطهار المسكنة
والعبودية ، والتبري عن الكبر ، وتلبيس الحال واقامة سيئة الشكر ، او
غير ذلك ، فانه يختلف باختلاف النيات والاشخاص والاحوال ، ولكل امرئ
ما نوى ، وكل مراقب للاحوال عارف بالفوائد والمفاسد ، يمكنه الأخذ
بالانفع الارجح .

(٩) صحيحنا الحديث على (الكافي) : ٣٣/٤ : كتاب الزكاة ، باب من كفر

تتميم

زكاة الابدان

نعلم أنه كما في المال زكاة فكذلك للبدن زكاة : وهو نقصه ليزيد الخير والبركة لصاحبه . وهذا النقص إما أن يكون اختياراً : بأن يصرف في الطاعة ويسنع عن المعصية ، أو اضطراراً : بأن يصاب بمرض وآفة . قال رسول الله — صلى الله عليه وآله — يوماً لأصحابه : « ملعون كل مال لا يزكى . ملعون كل جسد لا يزكى : ولو في كل أربعين يوماً مرة » قيل له : يا رسول الله : أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الأجساد ؟ قال (ح) : أن يصاب بآفة . فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك ، فلما رأهم قد تغيرت ألوانهم ، قال : « هل تدرون ما عنيت بقولي ؟ فقالوا : لا يا رسول الله ! قال : أن الرجل يخدش الخدشة ، وينكب النكبة ، ويعثر العثرة ، ويسرض المرضة ، ويشاك الشوكة ، وما أشبه هذا ... » حتى ذكر في حديثه اختلاج العين . وقال (ص) : « لكل شيء زكاة : وزكاة الابدان الصيام » . وقال الصادق (ع) : « على كل جزء من اجزائك زكاة واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعر من شعرك ، بل على كل لحظة من لحظاتك زكاة . فزكاة العين : النظرة بالعبرة ^(١) والغض عن الشهوات وما يشاهدها . وزكاة الاذن : استماع العلم والحكمة والقرآن ، وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك ، وبالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما . وزكاة اللسان : النصيح للمسلمين ، والתיقظ للعاقلين ، وكثرة التسبيح والذكر وغيرها . وزكاة اليد : البذل والعطاء والنسحاء بما أنعم الله عليك به ، وتحريكها بكتابة العلم ومنافع يتنفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى ، والقبض عن الشر . وزكاة الرجل : السعي في حقوق الله ، من زيارة الصالحين . ومجالس الذكر ، واصلاح الناس ، وصلة الارحام ، والجهاد ، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك » ^(٢) .

(١٠٤) في نسخ (جامع السعادات) : « النظر بالعبير » : ولعله الاولى .

(١١) صححنا الحديث على « مصباح الشريعة » ، الباب ٢٢ ، وفيه اختلاف كثير عن نسخ (جامع السعادات) ، بما لم يخرج عن المعنى .

وثانيها :

الخمس

وقد فرضه الله تعالى على عباده صونا لذرية نبيه (ص) عن الافتقار .
وتزويها لهم عن الصدقات التي هي اوساخ الناس ، فقال سبحانه :
« واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل » ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا
يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء قدير « (١٢) .

والاستفاد من الآية : ان مانع الخمس لا ايمان له . وقال امير المؤمنين
— عليه السلام — : « هلك الناس في بطونهم وفروجهم » لانهم لا يؤدون
اليها حقنا . ولا ريب في عظم الثواب والاجر في أدائه وايصاله الى اهله
وكيف لا وهو اعانة ذرية الرسول (ص) وقضاء حوائجهم : وقد قال رسول
الله (ص) : « حققت شفعتي لمن اعان ذرتي بيده ولسانه وماله » (١٣) .
وقال (ص) : « اربعة انا لهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذرتي ، والقاضي لهم
حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحجب لهم بقلبه
ولسانه » . وقال (ص) : « من اصطنع الى أحد من أهل بيتي يدا ، كافينه
يوم القيامة » . وعن الصادق (ع) قال : « اذا كان يوم القيامة ، نادى
مناد : ايها الخلائق ، انصتوا ، فان محمدا يكلمكم . فتنصت الخلائق ،
فيقوم النبي (ص) فيقول : يا معشر الخلائق ، من كانت له عندي يد او منه
او معروف فليقم حتى اكافيه . فيقولون : يا بآئنا وامهاتنا! وأي يد وأي منة وأي
معروف لنا؟! بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق . فيقول
لهم : هلى ! من آوى أحدا من أهل بيتي ، أو برهم ، أو كساهم من عرى ،
أو أشبع جائعهم ، فليقم حتى اكافيه . فيقوم الناس قد فعلوا ذلك ، فيأتي
النداء من عند الله : يا محمد ، يا حبيبي ، قد جعلت مكافاتهم اليك ، فأسكنهم
من الجنة حيث شئت . قال : فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون عن محمد

(١٢) الانفال ، الآية : ٤١ .

(١٣) صححنا هذا الحديث على جامع الاخبار : الباب ٢ ، الفصل ٦ .

وأهل بيته — صلوات الله عليهم « (١٤) . وقد ظهر مما تقدم بعض ما يتعلق به من الاسرار والآداب والشرائط الباطنة .

وينبغي أن يكون معطيه في غاية الحذر عن استعظامه وعن المن والاذى ، وأن يكون في غاية التخضع والتواضع للذرية العلوية عند اعطائه إياهم ، ويعلم أنه عبد من عباد الله ، اعطاه مولاه لبدا من امواله ، ثم امره بأن يوصل قليلا منها الى ذرية نبيه (ص) ، وجعل له ايضا في مقابلة هذا الايصال زيادة المال في الدنيا وعظيم الاجر والثواب في العقبى . فما أفصح بالعاقل — مع ذلك — ان يستعظم ما يعطيه ، ويسن على اولاد نبيه (ص) .
وقالها :

الانفاق على الاهل والعيال

والتوسع عليهم . وهو أيضا من الواجبات ، على النحو المقرر في كتب الفقه . وما ورد في مدحه وعظم اجره اكثر من أن يحصى ، قال رسول الله (ص) :
« الكاد على عياله كالجاهد في سبيل الله » (١٥) وقال (ص) : « خيركم خيركم لأهله » . وقال (ص) : « المؤمن يأكل بشفوة أهله ، والمنافق يأكل أهله بشفوته » (١٦) . وقال : « أفضل الصدقة صدقة عن ظهر غني ، وأبدا بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، ولا يلوم الله على الكفاف » (١٧) . وقال (ص) : « دينار أنفقته على أهلك ، ودينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، وأعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته على أهلك » . وقال (ص) : « ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى فم امرأته » . وقال (ص) :

(١٤) صححنا الاحاديث الثلاثة الاخيرة على (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف ، ابواب الامر بالمعروف ، الباب ١٧ .

(١٥) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب مقدماتها الباب ٢٢ . وروى الحديث في (المستدرک) عن « غوالي الثاني » .

(١٦) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب النكاح ، ابواب النفقات ، الباب ٢١ . وكذا الحديث الاخر : « ملعون ملعون . . . » .

(١٧) صححنا الحديث على (الواقي) : ٢٨٩ / ٦ ، وهو بمضمونه من المشهورات التي يروونها العامة والخاصة .

« من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة » . وقال (ص) :
 « من كانت له ثلاث بنات ، فاتفق عليهن وأحسن اليهن حتى يرضيهن الله عنه ،
 أوجب الله تعالى له الجنة ، الا ان يعمل عملاً لا يغفر الله له » . وقال (ص)
 يوماً لاصحابه : « تصدقوا » فقال رجل : ان عندي دينار . قال اتفقته على
 نفسك . فقال : ان عندي آخر قال : اتفقته على زوجتك . قال : ان عندي آخر .
 قال : اتفقته على ولدك . قال : ان عندي آخر . قال : اتفقته على خادمك . قال :
 ان عندي آخر . قال (ص) : انت أبصر به » (١٨) . وقال (ص) : « ملعون
 ملعون من اتى كله على الناس ! ملعون ملعون من ضيع من يعوله ! » .
 وقال (ص) لأمر المؤمنين (ع) بعد ما رآه في البيت بقي العدس ، وفاطمة
 عليها السلام جالسة عند القدر : « اسمع مني يا أبا الحسن ، وما أقول
 الا من أمر ربي : ما من رجل يعين امرأته في بيتها ، الا كان له بكل شعرة
 على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ، واعطاه الله من الثواب مثل
 ما أعطاه الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى - عليهم السلام - . يا
 علي ، من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأتف ، كتب الله اسمه في ديوان
 الشهداء ، وكتب له بكل يوم وليلة ثواب الف شهيد ، وكتب له بكل قدم
 ثواب حجة وعصرة ، واعطاه الله بكل عرق في جسده مدينة في الجنة . يا علي
 ساعة في خدمة البيت خير من عبادة الف سنة ، والف حجة ، والف عصرة ،
 وخير من عتق الف رقبة ، والف غزوة ، والف مريض غاده ، والف جمعة
 والف جنازة ، والف جائع يشبعهم ، والف عار يكسوهم ، والف فرس يوجهه
 في سبيل الله ، وخير له من الف دينار يتصدق على المساكين ، وخير له من
 أن يقرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ومن ألف أسيرة اشتراها
 فأعتقها ، وخير له من الف بدنة يعطي للمساكين ، ولا يخرج من الدنيا حتى
 يرى مكانه في الجنة . يا علي ، من لم يأتف من خدمة العيال دخل الجنة بغير
 حساب . يا علي ، خدمة العيال كفارة للكبائر ، وتطفى غضب الرب ،
 ومهور حور العين ، وتزيد في الحسنات والدرجات . يا علي ، لا يخدم العيال

سبحانه :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » (٢٢) . وقال : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » (٢٣) . وقال : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (٢٤) .

وعن الصادق (ع) : « انه تلا هذه الآية : (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ، فأخذ قبضة من حصي وقبضها بيده ، فقال : هذا الافتار الذي ذكره الله في كتابه . ثم أخذ قبضة أخرى ، فأرخى كفها ، ثم قال : هذا الاسراف . ثم أخذ قبضة أخرى ، فأرخى بعضها وأمسك بعضها ، وقال : هذا القوام » (٢٥) . وينبغي ألا يستأثر نفسه أو بعض عياله بسأكل طيب ، ولا يطعم سائرهم منه ، فإن ذلك يوغر الصدر ويبعد عن المعاشرة بالمعروف ، إلا أن يضطر اليه ، لمرض أو ضعف أو غير ذلك . وينبغي ألا يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه ، وأن يقدم عياله كلهم على مائدة عند الأكل ، فقد روى : « ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت ياكلون في جماعة » .

وأما الامور المستحبة من الاتفاق ، الداخلة تحت السخاء ، فأولها :

صدقة التطوع

وفضلها عظيم ، وفوائدها الدنيوية والاخرية كثيرة . قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : « تصدقوا ولو بتمررة ، فإنها تسد من الجائع ، وتطفىء الخليفة . كما يطفىء الماء النار » . وقال (ح) : « اتقوا النار ولو بشق تمررة » ، فإن لم تجدوا فبكلبة طيبة . وقال (ح) : « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا طيبا ، الا كان الله آخذها بيمينه ، فيريه له كما يرى أحدكم فضيله ، حتى تبلغ التمرة

(٢٢) الاعراف ، الآية : ٣٠ .

(٢٣) الاسراء ، الآية : ٢٩ .

(٢٤) الفرقان ، الآية : ٦٧ .

(٢٥) صحاحنا الحديث على : الوافي ١ : ٢٩٦/٦ . باب فضل القصد بين

الاسراف والتقتير

مثل أحد » • وقال (ص) : « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » • وقال (ص) : « كل أمرىء في ظل صدقته ، حتى يقضي بين الناس » • وقال (ص) : « أرض القيامة نار ، ما خلا ظل المؤمن ، فإن صدقته تظله » • وقال (ص) : « إن الله لا آله إلا هو ، ليدفع بالصدقة الداء والنديلة ، والحرق والعرق ، والهدم والجنون ... » • وعند سبعين باباً من الشر • وقال (ص) : « صدقة السر تطفى غضب الثوب عز وجل » (٢٦) • وقال (ص) : « إذا أطرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه » •

وفائدة التخصيص بالذكر والليل : إن من يسألك ليلاً في صورة الإنسان ، يحتمل أن يكون منكاً أنك للامتحان ، كما روى : « أنه سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران (ع) » وقال : يا موسى ، أكرم السائل ببذل سير أو برد جميل ، أنه يأتيك من ليس بإنس ولا جان ، بل ملائكة من ملائكة الرحمن ، يملونك فيما حولتك ، ويسألونك فيما حولتك ، فانظر كيف أتت صنائع يابن عمران » • ولذلك حث رسول الله (ص) على عدم رد السائل : وقال : « اعط السائل ولو على ظهر فرس » • وقال (ص) : « لا تقطعوا على السائل مسألته ، فلو لا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم » • وقال الباقر (ع) : « البر والصدقة ينفيان الفقر ، ويزيدان في العمر ، ويدفعان عن صاحبه سبعين ميتة سوء » • وقال الصادق (ع) : « داووا مرضاكم بالصدقة ، وأدفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، فإنها تفك من بين لحي سبع مائة شيطان ، وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الرب تعالى قبل أن تقع في يد العبد » • وقال (ع) : « الصدقة باليد تقي ميتة سوء ، وتدفع سبعين نوعاً من البلاء ، وتفك عن لحي سبعين شيطاناً كلهم يأمره ألا يفعل » • وقال (ع) : « يستحب للمريض أن يعطي السائل بيده ، ويأمره أن يدعو له » • وقال عليه السلام : « باكروا بالصدقة ، فإن البلاء لا يتخطاها ، ومن تصدق بصدقة

(٢٦) الأخبار النبوية المذكورة في هذا الفصل أغلبها عامية صححناها على

(احياء العلوم) : ج ١ بيان فضيلة الصدقة .

اول النهار رفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم ، فان تصدق
 اول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة » . وكان (ع) اذا
 أعتهم أي صلى العتمة - وذهب من الليل شطره ، أخذ جرابا فيه خبز ولحم
 ودراهم . فحمله على عنقه ، ثم ذهب به الى أهل الحاجة من أهل المدينة ،
 فقسه فيهم ولا يعرفونه ، فلما مضى أبو عبدالله (ع) ، فقدوا ذلك ، ففعلوا
 انه كان أبا عبدالله (ع) . وسئل (ع) عن السائل يسأل ولا يدري ماهو ،
 فقال : « أعط من أوقع في قلبك الرحمة » . وقال (ع) في السؤال :
 « اطعموا ثلاثة » وان شئتم ان تزدادوا فأزدادوا ، والا فقد أدبتم حق
 يومكم » . وقال (ع) في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسمها : قال : « يجري
 له من الاجر مثل ما يجري للمعطي » ولا ينقص من أجره شيئا . ولو أن
 المعروف جرى على سبعين يد ، لأوجروا كلهم من غير أن ينقص من أجر
 صاحبه شي . وقد وردت أخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه ، قال
 أمير المؤمنين (ع) : « اول ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء » يعني في
 الاجر . وقال أبو جعفر (ع) : « ان الله تعالى يحب ابراد الكبد الحراء ، ومن
 سقى الماء كبدا حراء ، من بهيمة وغيرها ، أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل
 الا ظله » . وقال الصادق (ع) : « من سقى الماء في موضع يوجد فيه
 الماء : كان كمن أعتق رقبة » ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء ،
 كان كمن أحبب نفسه ، ومن أحبب نفسه فكأنما أحبب الناس جميعا » .
 (تنبيه) : سئل رسول الله (ص) : « أي الصدقة أفضل ؟ قال :
 أن تصدق وانت صحيح صحيح ، فأمل البقاء وتخشى الفاقة ، ولا تسهل حتى
 اذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ولفلان كذا » .

فصل

فصيلة الاسرار في الصدقة المندوبة

لا كلام في ان الاسرار في الصدقة المندوبة افضل من اظهارها للمعطي
 في اعطائها ، ويدل عليه قول الصادق (ع) : « الصدقة في السر والله افضل

من الصدقة في العلانية» (٢٧) . وقوله (ع) : « كلما فرض الله عليك »
فإعلاقه أفضل من أسرارته ، وكلما كان تطوعا ، فأسراره أفضل من إعلانه .
وانما الكلام في أن الأفضل للأخذ في أخذها ، أن يأخذها سرا أو
علانية . فقول : الأفضل له أخذها ، لأنه أبقى للتعفف وستر المروءة ، واسلم
لقلوب الناس والستهم من الحسد وسوء الظن والغيبة ، وعون للسعطي على
أسرار العمل ، وقد علمت أفضلية السر على الجهر في الاعطاء ، وأصون لنفسه
عن الإذلال والاهانة ، وأخلص من شوب شركة الحضار ، فإن الاستفادة من
الأخبار : أن الحضار شركاء من أهدي له في الهدية . والظاهر أن الصدقة
مثلا إذا كان الحضار من أهله . قال رسول الله (ص) : « من أهدي
له هدية وعنده قوم ، فهم شركاؤه فيها » . وقال الباقر (ع) : « جلساء
الرجل شركاؤه في الهدية » . وقال (ع) : « إذا أهدي للرجل هدية من
طعام ، وعنده قوم ، فهم شركاؤه في الهدية الفاخرة أو غيرها » . وقيل :
الأفضل أخذها علانية ، والتحدث بها ، لتنقية الكبر والرياء ، وتلبيس الحال ،
وابجابه الاخلاص والصدق ، وإقامة منة الشكر ، واستقاط الجاد والمنزلة ،
واظهار العبودية والمسكنة ، مع أن العارف ينبغي ألا ينظر إلا إلى الله ،
والسر والعلانية في حقه واحد ، فأختلاف الحال شرك في التوحيد .
والحق أن الحكم بأفضلية أحدهما على الاطلاق غير صحيح ، إذ تختلف
أفضلية كل منهما باختلاف النيات ، وتختلف النيات باختلاف الاحوال
والاشخاص .

فينبغي لطالب السعادة أن يراقب نفسه ، ويلاحظ حاله ووقته ، ويرى
أن أي الحالتين من السر والجهر بالنظر إليه أقرب إلى الخلوص والقرية ،
وأبعد من الرياء والتلبيس وسائر الآفات ، فيختار ذلك ، ولا يتدلى بعجل الغرور
ولا يتخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان . مثلا إذا كان طبعه مائلا إلى
الاسرار ، ورأى أن باعث هذا الميل حفظ الجاد والمنزلة ، وخوف سقوط

(٢٧) صححنا أغلب هذه الاخبار المروية عن أهل البيت — عليهم السلام —

في هذا المقام على (الوافي) : ٢٨٢/٦ ، ٢٨٤ باب فضل الصدقة وباب فضل
صدقة السر .

القدر من أعين الناس ، ونظر الخلق اليه بعين الازدراء ، والى المعطي كونه منعما محسنا اليه ، او خوف ألا يعطيه الناس بعد ذلك لعلهم بما أخذه ، فلينتقل عن الاسرار وبأخذها علاقة ، إذ لو ابقى نفسه على ما أستمكن فيها من الداء الدفين ، وعمل بسقوضها ، صار هالكا - وإن كان طبعه مائلا الى الاسرار ، وأيقن بأن باعث الميل اليه : ابتلاء التعفف ، وستر المروءة ، وصيانة الناس عن الحسد ، وسوء الظن والغيبة . ولم يكن باعثه شيء من المقاصد المذكورة ، فالأولى ان يأخذها سرا . ويعرف ذلك بأن يكون تأمله بانكشاف أخذه الصدقة كتأمله بانكشاف صدقة أخذها بعض أقرانه وأخوانه المؤمنين ، فإنه ان كان طالبا لبقاء السر وإعانة المعطي على الاسرار ، وصيانة العلم عن الابتذال ، وحفظ الناس عن الحسد والغيبة وسوء الظن ، فينبغي أن يكون طالبا لها في صدقة أخيه أيضا ، إذ يحصل ما يحذر منه : من هتك الستر ، وابتذال العلم ، ووقوع الناس في الغيبة والحسد بانكشاف صدقة أخيه أيضا . فإن كان انكشاف صدقته أثقل عليه من انكشاف صدقة غيره ، فتقديره الحذر من هذه المعاني تلييس من النفس ومكر من الشيطان . وإذا كان طبعه مائلا الى الاظهار ، ووجد منه أن باعث هذا الميل هو التظلم لقلب المعطي ، والاستحاث له على مثله ، والاظهار للغير بأنه من المباغين في الشكر ، حتى يرغبوا في الاحسان اليه ، فليتبه أن هذا الداء من الداء الدفين الذي يهلكه لو لم يعالجه ، فليترك أخذها جهرا والتحدث بها ، وينتقل الى الاخذ خفية . وإن تيقن من نفسه بأن الباعث هو اقامة السنة في الشكر ، والتحدث بالنعمة ، واسقاط الجاه والمنزلة ، واظهار العبودية والمسكنة ، او غير ذلك من المقاصد الصحيحة ، من دون تطرق شيء من المقاصد المذكورة ، فالأظهار أفضل ، ويعرف ذلك بأن تميل نفسه الى الشكر ، حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطاؤه ، وبين يدي جماعة يعلم أنهم يكرهون اظهار العطية ، ويرغبون في اخفائها ، وعادتهم ألا يعطوها الا من يخفيها ولا يتحدث بها ولا يشكر عليها . ثم اذا جزم يكون الباعث اقامة السنة في الشكر ، فينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي ، فينظر انه ان كان ممن يحب الشكر والنشر فيخفي الاخذ ولا يشكر ، لان قضاء حقه ألا

ينصره على الائم : وان كان من لا يحب الشكر ولا يطلب النشر ، فالأولى ان يشكره ويظهر صدقته .

وينبغي لكل من يرعى قلبه ان يلاحظ هذه الدقائق ولا يهملها ، اذ اعمال الجوارح مع أهملها ضحكة للشيطان وشماتة له ، لكثرة النعم فيها مع عدم تصور نفع لها ، والعلم بهذه الدقائق وملاحظتها هو العلم الذي ورد فيه ان تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، اذ بهذا العلم تحبى عبادة العسر ، وبالجهد به تنبت عبادة العسر .
وثانيها :

الهدية

وهي ما يعطي ويرسل الى أخيه المسلم ، فقيرا كان أم غنيا ، طفا للاستيناس ، وتأكيذا للصحة والتودد . وهو مندوب اليه من الشرع ، ومع سلامة القصد والنية يكون عبادة . قال رسول الله (ص) : « تحابوا تهادوا ، فانها تذهب بالضغائن » . وقال (ص) : « لو أهدى الي ذراع لقبلت » . وقال أمير المؤمنين (ع) : « لان أهدى لأخي المسلم هدية أحب الي من أن اتصدق بمثلها » . وقال (ع) : « من تكرمه الرجل لأخيه المسلم ، أن يقبل تحفته وان يتحفه بها عنده ، ولا يتكلف له شيئا » .
وثالثها :

الضيافة

وثوابها جزيل ، وأجرها جليل ، وفضلها عظيم ، وثمرها جسيم . قال رسول الله (ص) : « لآخر فيمن لا يضيف » . ومرو (ص) : « رجل له ابل وبقر كبير ، فلم يضيفه ، ومرو بأمرأة لها شويحات ، فذبحت له ، فقال (ع) : « انظروا اليها ، فانما هذه الاخلاق بيد الله عز وجل ، فمن شاء ان يستجبه خلقا حسنا فعل » . وقال (ص) : « الضيف اذا جاء فترل بالقوم ، جاء برزقه معه من السماء ، فاذا أكل غفر الله لهم بنزوله » . وقال : « مامن ضيف حل بقوم الا ورزقه في حجره » . وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » . وقال (ص) : « لاتزال امتي بخير : ما تحابوا ، وأدوا الامانة ، واجتنبوا الحرام ، وأقرأوا الضيف ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فاذا لم يفعلوا ذلك أبتلوا بالقحط والسنين » . وقال (ص) :

إذا أراد الله بقوم خيرا أهدي لهم هدية • قالوا : وما تلك الهدية ؟ قال :
 الضيف ينزل برزقه ، ويرتجل بذنوب أهل البيت • وقال (ص) :
 « كل بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكة » • وقال (ص) : « الضيف دليل
 الجنة » • وقال أمير المؤمنين (ع) : « مامن مؤمن يحب الضيف الا ويقوم
 من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر ، فينظر أهل الجمع ، فيقولون : ما هذا
 الا نبي مرسل ! فيقول ملك : هذا مؤمن يحب الضيف ويكرم الضيف »
 ولا سبيل له الا أن يدخل الجنة • وقال (ع) : « مامن مؤمن يسمع
 بهمس الضيف وفرح بذلك ، الا غفرت له خطايا » • وان كانت مطبقة بين
 السماء والارض • وبكى — (ع) يوما ، فقبل له : ما يبكيك ؟ قال :
 « لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام » ، أخاف ان يكون الله قد أهانني • وعن
 محمد بن عيسى ، عن أبي عبد الله (ع) : قال : « ذكر أصحابنا قوما ، فقلت
 والله ما اتعدى ولا اتعشى الا ومعى منهم اثنان او ثلاثة او اقل او اكثر ،
 فقال — (ع) : فضلهم عليك اكثر من فضلك عليهم • قلت : جعلت فداك !
 كيف ذا وانا أطعمهم طعامي • واتفق عليهم من مالي ، ويخدمهم خادمي ؟
 فقال : اذا دخلوا عليك دخلوا من الله بالرزق الكثير • واذا خرجوا بالمغفرة
 لك • وكذا إبراهيم الخليل (ع) اذا اراد ان يأكل ، خرج ميلا او ميلين
 يلتقى من يتعدى معه ، وكان يكنى (ابا الضيفان) •

وجميع الاخبار الواردة في فضيلة اطعام المؤمن وسعيه تدل على فضيلة
 الضيافة ، كقوله (ص) بعد سؤاله عن الحج المبرور : « هو اطعام الطعام وطيب
 الكلام » • وقال (ص) : « من اطعم ثلاثة نفر من المسلمين اطعمه الله من
 ثلاث جنات في ملكوت السماوات : الفردوس ، وجنة عدن ، وطوى شجرة
 تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده » • وقول الصادق (ع) : « من اشبع مؤمنا
 وجبت له الجنة » وقوله (ع) : « من اطعم مؤمنا حتى يشبعه ، لم يدر احدا من
 خلق الله ماله من الاجر في الآخرة ، الا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، الا الله رب
 العالمين » • وسئل (ص) : « ما الايمان ؟ فقال : اطعام الطام • وبذل السلام
 وقال : « ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ،
 يسكنها من امتى من اطاب الكلام ، واطعم الطعام ، وافشى السلام ، ووصلى

بالليل والناس نيام . وقال (ص) : « من أحب الاعمال الى الله تعالى : اشباع جوعة المؤمن ، وتنقيس كربته ، وقضاء دينه » وقال (ص) « ان الله يحب الاطعام في الله ، ويحب الذي يطعم الطام في الله ، والبركة في بيته اسرع من الشفرة في سنام البعير » وقال (ص) « خيركم من اطعم الطعام » وقال صلى الله عليه وآله : من اطعم الطعام اخاه المؤمن حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه ، بعده الله من النار سبع خنادق ، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام . وفي الخبر : « ان الله تعالى يقول للعبد في القيامة : يا ابن آدم ، خفت فلم تنفعني ، فيقول : كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟ فيقول : جاع أخوك فلم تطعمه ، ولو اطعمته كنت اطعمتني » . وقال (ص) : من سقى مؤمنا من طاماً سقاه الله من الرحيق المختوم . وقال (ص) من سقى مؤمنا شربة من ماء من حيث يقدر على الماء ، اعطاه الله بكل شربة سبعين الف حسنة ، وان سقاه من حيث لا يقدر على الماء ، فكأنما اعتق عشر رقاب من ولد اسماعيل » (٢٨) .

فصل

ما ينبغي ان يقصد في الضيافة

ينبغي ان يقصد في ضيافة التقرب الى الله ، واثنتين بسنة رسول الله واستمالة قلوب الاخوان ، وادخال السرور على قلوب المؤمنين ، ولا يقصده الرياء والمفاخرة والمباهاة ، والاضاع عمله ، وان يدعو الفقراء والافتقاء ، وان كان في ضيافة الاغنياء ومطلق الناس فضيلة ايضاً . وينبغي الا يهمل في ضيافة الاقارب والجيران ، اذ اهمالهم قطع رحم وايحاش ، والا يدعو من يعلم انه تشق عليه الاجابة . وينبغي ان يعجل في احضار الطام ، لانه من اكرام الضيف وقد ورد : « ان العجلة من الشيطان » الا في خمسة اشياء ، فانها من سنة رسول الله (ص) : اطعام الضيف ، وتجهيز البيت وتزويج البكر ، وقضاء الدين والتوبة من الذنوب ، وان يحضر من الطعام قدر الكفاية ، اذ التقليل عنه نقص في المروءة ، والزيادة عليه تضييع ، وان يسعى في اكرام الضيف من طلاقة الوجه

(٢٨) صححنا احاديث هذا الفصل على (البحار) : ٤ / ١٥ / ١١٠ ، باب اطعام المؤمن . ٢٤٢ - ٢٤٤ : باب آداب الضيف . وعلى (الكافي) : باب اطعام المؤمن . وعلى (الوسائل) : في آداب المائدة من كتاب الاطعمة والاشربة .

وطيب الكلام معه عند دخوله وخروجه وعلى المائدة : والخروج معه الى باب الدار اذا خرج ، قال رسول الله (ص) : « ان من سنة الضيف ان يشيعه الى باب الدار » . ومما ينبغي له الا يستخدم الضيف ، قال الباقر (ع) : « من الجفاء استخدام الضيف » . وكان عند الرضا (ع) ضيف ، فكان يوما في بعض الحوائج ، فنهض عن ذلك ، وقام بنفسه الى تلك الحاجة ، وقال : « نهى رسول الله (ص) عن ان يستخدم الضيف » .

فصل

آداب الضيافة

ينبغي لكل مؤمن ان يجيب دعوة اخيه الى الضيافة ، من غير ان يفرق بين الغنى والفقير ، بل يكون السرع اجابة الى الفقير ، والا يمنعه بعد المسافة عن الاجابة اذا امكن احتمالها عادة . قال رسول الله (ص) : « اوصى الشاهد من امتي والعائب ، ان يجيب دعوة المسلم ولو على خسة اميال ، ولا يمنعه صوم التطوع عن الاجابة ، بل يحضر ، فان علم سرور اخيه بالافطار فليطبخ ويحتسب في افطاره افضل ما يحتسب في صومه » . وقال الصادق (ع) : « من دخل على اخيه وهو صائم ، فاقطر عنده ولم يعلمه بصوم فيمن عليه ، كتب الله له صوم سنة ، وان علم انه متكلف ولايسر بافطاره فليتعلم » . وينبغي الا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ، ليدخل عمله في امور الدنيا ، بل ينوي الاقتداء بسنة رسول الله (ص) واكرام اخيه المؤمن ، ليكون في عمله مضيعة الله مثابا في الآخرة ، وان يحترز عن الاجابة اذا كان الداعي من الظلمة او الفساق ، او كانت ضيافة للفخر والمباهاة ، ومن كان طعامه حراما او شبهة ، او لم يكن موضعه او بساطه المقروش حلالا ، او كان في الموضع شيء من المنكرات ، كإساءة فضة ، او تصوير حيوان على سقف او حائط ، أو أحد آلات اللهو من المزامير وامثالها ، او التشاغل بشيء من اللهو واللعب والهزل ، فكل ذلك مما يمنع الاجابة ، ويوجب تحريمها او كراهيتها . قال الصادق (ع) : « لا ينبغي للمؤمن ان يجلس مجلسا يعصى الله تعالى فيه ولا يقدر على تغييره . ومن ابتلى بحضور طعام ظالم اكراما وتقية ، فليقلل الاكل ، ولا يأكل أطيب الأطعمة » .

وينبغي للضيف — أيضا — إذا دخل الدار ألا يتصدره ولا يقصد أحسن الأماكن ، بل يتواضع ويرضى بالدون من المجلس ، وإن أشار إليه صاحب الدار بموضع فلا يخالفه ويجلس فيه . وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع أو الانحطاط ، وألا يجلس في مقابلة باب حجرة النسوان ، ولا يكثّر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام ، فانه دليل الشره وخسة النفس ، وإن يخص بالتحية والسلام أولا من يقرب منه .

وينبغي لمن دعى إلى الضيافة ألا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد .

ورابعها :

الحق المعلوم وحق الحصاد والجذاذ

والمراد من الأول : ما يعرضه الرجل ويقدره في ماله ، من قليل أو كثير غير الصدقات الواجبة ، يعطيه محتاجا أو يصل به رحمه . والمراد بالثاني : ما يعطى به إلى الفقراء من الضعف بعد الضعف : أي القبض بعد القبض من الزرع يوم حصاده ، ومن الحفنة بعد الحفنة : أي ملء الكف من التمر أو الحنطة أو غيرهما من الثمار والفواكه والحبوبات عند قطعها وتصفيتهما .

وهذان النوعان من الاتفاق معدودان في صدقة التطوع ، وقد وردت بخصوصهما أخبار كثيرة لشدة استحبابهما . قال الصادق (ع) : « إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحدون إلا بأدائها ، وهي الزكاة ، بها حقنوا دماءهم وبها سموا مسلمين ، ولكن الله تعالى فرض في أموال الأغنياء حقوقا غير الزكاة فقال الله تعالى :

« والذين في أموالهم حق معلوم » (٢٩) .

والحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله ، يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله ، فيؤدي السدي فرض على نفسه أن شاء كل يوم ، وإن شاء كل جمعة ، وإن شاء كل شهر » (٣٠) .

(٢٩) المعارج ، الآية : ٢٤ .

(٣٠) صححنا الحديث على (الوافي) : ٢٨١/٦٠ : باب جملة ما يجب في المال من الحقوق .

وقال (ع) : « الحق المعلوم ليس من الزكاة ، هو الشيء ، تخرجه من مالك ، ان شئت كل جمعة ، وان شئت كل شهر ، وتكل ذي فضل فضله ، وقول الله تعالى : (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) ، فليس من الزكاة ، والماعون ليس من الزكاة ، وهو المعروف تصنعه والقرض تقرضه ومتاع البيت تعبده ، وصلة قرابتك ليس من الزكاة . وقال الله تعالى : (والذين في أموالهم حق معلوم) . فالحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه انه في ماله ونفسه ، ويجب له أن يفرضه على قدر طاقتة ووسعته » (٣١) وقال (ع) : « وان عليكم في أموالكم غير الزكاة . فقلت : اصلحك الله ، وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله ! أما تسمع قول الله تعالى ؟ يقول في كتابه :

« والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » (٣٢) .

قال : قلت : فماذا الحق المعلوم الذي علينا ؟ قال : هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله ، يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر ، قل أوكثر ، غير أنه يدوم عليه » (٣٣) . وقال (ع) في قول الله تعالى : (في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم) : « هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الألف والالفين والثلاثة آلاف والاقل والاكثر ، فيصل به رحمه ويحصل به الكل عن قومه » . وقال (ع) : « في الزرع حقان : حق تؤخذ به ، وحق تعطيه . قلت : وما الذي تؤخذ به وما الذي أعطيه ؟ قال : أما الذي تؤخذ به ، فالعشر ونصف العشر ، وأما الذي تعطيه ، فقول الله :

« وآتوا حقه يوم حصاده » (٣٤) .

يعني من حصدك الشيء ثم الشيء - ولا اعلمه الا قال الضعيف ثم

(٣١) نفس المصدر : باب جملة ما يجب فيه الزكاة « الوسائل » : ٧/٢ ، باب الحقوق في المال سوى الزكاة .

(٣٢) المعارج ، الآية : ٢٤ - ٢٥ .

(٣٣) صحيحنا الحديث على (الوافي) : ٢٨١/٦ ، باب جملة ما يجب في المال من الحقوق وعلى (الوسائل) : ٧/٢ ، باب جملة ما يجب فيه الزكاة .

(٣٤) الانعام ، الآية : ١٤١ .

الضئف — حتى تفرغ » (١٢٥) . وقال (ع) : « لاتصرم بالليل ، ولا تحصد بالليل ، ولا تضح بالليل ، ولا تبذر بالليل . فانك ان فعلت ذلك ثم يأتاك القانع والمعتز . فقلت : وما القانع والمعتز ؟ فقال : القانع : الذي يقنع بما أعطيته ، والمعتز : الذي يسر بك فيسألك . وان حصدت بالليل لم يأتك السؤال ، وهو قول الله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) عند الحصاد ، يعني القبضه بعد القبضه اذا حصدته ، فاذا خرج فالحفنة بعد الحفنة ، وكذلك عند الصرام ، وكذلك عند البذر . ولا تبذر بالليل ، لانك تعطي من البذر كما تعطي من الحصاد » . وقال الباقر (ع) في قول الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) : « هذا من الصدقة ، ويعطي المسكين القبضه بعد القبضه ، ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة ، حتى يفرغ » . وفي مضمون هذه الاخبار اخبار كثيرة أخر .
وخامسها :

القرض

وهو أيضا من ثمرات السخاء ، لان السخي تسمح نفسه بأن يقرض أخاه المحتاج بعض أمواله الى حين استطاعته ، كما تسمح نفسه بأن يبدل عليه أصل ماله ، والبخيل يشق عليه ذلك . وثواب القرض عظيم ، وفضله جسيم . قال الباقر (ع) : « من أقرض رجلا قرضا الى ميسرة ، كان ماله في زكاة ، وكان هو في الصلاة مع الملائكة حتى يقبضه » . وقال الصادق — عليه السلام — : « مكتوب على باب الجنة : الصدقة بعشرة ، والقرض بشماتية عشر » . وقال (ع) : « مامن مؤمن اقرض مؤمنا يلتصق به وجه الله ، الا حسب الله له أجره بحساب الصدقة ، حتى يرجع ماله اليه ، يعني اعطاه الله في كل آن اجر صدقة ، ذلك لان له قضاءه في كل آن ، فلما لم يفعل فكأنما أعطاه ثانيا وثالثا وهلم جرا ، الى ان يقبضه » . وقال (ع) : « لا تمنعوا قرض الخمير والخبز واقتباس النار ، فانه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الاخلاق » . وقال : « لا تمنعوا قرض (٣٥) صحيحنا الحديث على الواقي ٢٨٢/٦١ . وعلى (فروع الكافي) : كتاب الزكاة ، باب الحصاد والجذاذ ، وكذا ما بعده .

الخبير والخبز ، فإن منعهما يورث الفقر » (٣٦) .
وسادسها :

انظار المعسر والتحليل

وهو أيضا من أفراد البذل المترتب على السخاء ، وقد ورد في فضله أخبار كثيرة ، قال الصادق (ع) : « من اراد أن يظله الله يوم لا ظل الا ظله ، فلينظر معسرا ، أو يدع له من حقه » . وقال (ص) : « ان رسول الله (ص) قال في يوم حار — وحتاكفه — : من أحب أن يستظل من فور جهنم ؟ — قالها ثلاث مرات — فقال الناس في كل مرة : نحن يا رسول الله . فقال : من أنظر غريسا أو ترك المعسر » . وقال (ع) : « سعد رسول الله (ص) المنبر ذات يوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على انبيائه ، ثم قال : أيها الناس ؛ ليبلغ الشاهد الغائب منكم ، ألا ومن انظر معسرا كان له على الله في كل يوم ثواب صدقة يشل ماله ، حتى يستوفيه » . وقيل له (ع) : « ان لعبد الرحمن بن سبابة ديناً على رجل قد مات ، وقد كلمناه ان يحلله فأبى ، فقال : ويحه ! أما يعلم ان له بكل درهم عشرة اذا حلله ، وان لم يحلله فأفنا هو درهم بدرهم ؟ » (٣٧) . وفي معناها أخبار كثيرة آخر .
وسابعها :

بذل الكسوة والسكنى ونحوهما

غير ما ذكر من وجوه الاعانة بالمسلم ، كبذل الكسوة والسكنى ، وحمله على الدابة ، واعطائه الماعون ، واعارته المتاع وسائر ما يحتاج اليه ، واطراق الفحل وغير ذلك ؛ فإن جميع ذلك من ثمرات السخاء ، ومنعها من نتائج البخل . وفي كل واحد منها فضيلة وثواب ، وورد في فضيلة كل منها أخبار .

ومما يدل على مدح كسوة المؤمن ، قول الباقر (ع) : « لأن أحج حجة أحبالي من ان اعتق رقبة ورقبة ورقبة (حتى انتهى الى عشرة) ، ومثلها

(٣٦) صححنا الاحاديث الواردة في هذا المقام على (الوافي) : ٢٩٢/٦ ، باب القرض .

(٣٧) صححنا جميع الاحاديث الواردة في هذا المقام على (الوافي) : ٢٩٢/٦ ، باب انظار المعسر والتحليل . وعلى (فروع الكافي) : باب انظار المعسر ، كتاب الزكاة .

ومثلها (حتى انتهى الى سبعين) . ولأن اقول أهل بيت من المسلمين ، اشبع جوعتهم ، واكسو عورتهم ، واكف وجوههم عن الناس ، أحب الي من أن احج حجة وحجة (حتى انتهى الى عشر) ، وعشر مثلها ومثلها (حتى انتهى الى سبعين) (٣٨) . وقال الصادق (ع) : « من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف ، كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة ، وإن يهون عليه من سكرات الموت ، وأن يوسع عليه في قبره ، وإن يلقي الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى . وهو قول عز وجل في كتابه :

« وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » (٣٩) .

وقال : « من كسا أحداً من فقراء المسلمين ثوباً من عرى ، أو أعانه بشيء مما يقويه على معيشته ، وكل الله عز وجل به سبعة آلاف ملك من الملائكة ، يستغفرون لكل ذنب عمله ، الى أن ينفخ في الصور » (٤٠) . وثامنها :

ما يبذل لوقاية العرض والنفس

ما يبذل لوقاية العرض ، وحفظ الحرمه ، ورقع شر الاشرار وظلم الظلمه . فإن السخي لا يقتصر في شيء من ذلك ، والبخيل ربما منع بخله عن ذلك ، فيهلك عرضه ويذهب حرمة . وفي بعض الاخبار دلالة على أن البذل لذلك صدقة . وتقدم أن ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة ، وكذا يبذل ما تقتضيه المروءة والعادة من ثمرات الجود والسخاء ، ومن منعه كان بخيلاً .

وتاسعها :

ما ينفق في المنافع العامة

والخيرات الجارية ، من بناء المساجد والمدارس والربط والقناطير ، واجراء القنوات ، وأمثال ذلك مما يبقى أثره على مر الدهور ، ويصل نفعه ونوابه الى صاحبه في كل وقت الى يوم النشور . ولا يخفى ثواب ذلك .

(٣٨) صححنا الحديث على (الوافي) : ٢٨٢/٦ ، باب فضل الصدقة .

(٣٩) الانبياء ، الآية : ١٠٣ .

(٤٠) صححنا الأحاديث الواردة في هذا المقام على (الكافي) : باب من

كسا مؤمناً .

والاخبار الواردة في مدحه وفضيلته اكثر من أن تحصى ، ولا حاجة الى ذكرها لاشتهارها بين الناس .

تنبيه

الفرق بين الاتفاق والبر والمعروف

اعلم أن لفظ الاتفاق والمعروف والبر يتناول جميع ما تقدم من الاتفاقات الواجبة والمستحبة . والفرق بينها : أن الاتفاق خاص بالمال والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس . وكل ما ندب اليه الشرع من فعل وترك ، وهو من الصفات الغالبة ، أي أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه ، والغالب في الاخبار ارادة ما يتعلق بالمال من معانيه . والبر كالمعروف في شموله لجميع أعمال الخير في الاصل ، وانصرف اطلاقه غالبا في الاخبار الى ما يتعلق بالمال من وجوه الاتفاقات المتقدمة بأسرها ، وربما خص بها سوى الصدقة منها ، لما ورد : أن البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر . والظاهر أن مبنى الخبر على ذكر الخاص بعد العام فلا وجه للتخصيص . ثم الصدقة تتناول جميع ما تقدم من وجوه الاتفاق ، سوى المروءة ، وعلى أي تقدير ، لا ريب في أن ما ورد من الآيات والاخبار في فضيلة مطلق الاتفاق والمعروف والبر يدل على فضيلة كل واحد مما تقدم من وجوه الاتفاق ، كقوله سبحانه : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم » (٤١) . وقوله : « وما تنفقوا من خير فلا نفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (٤٢) وقوله : « وآتوا المال على حبه ذوي القربى واليتامى ... » الآية (٤٣) . وقوله : « قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين ... » الآية (٤٤) . وقوله : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » (٤٥) . وقوله : « مثل

(٤١) البقرة ، الآية : ٢٦٧ .

(٤٢) البقرة ، الآية : ٢٧٢ .

(٤٣) البقرة ، الآية : ١٧٦ .

(٤٤) البقرة ، الآية : ٢١٥ .

(٤٥) البقرة ، الآية : ٢٥٤ .

الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة ... » الآية (٤٦) . وقوله : « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٤٧) .

وقول رسول الله (ص) : « أول من يدخل الجنة المعروف وأهله ، وأول من يرد على الحوض » . وقوله (ص) : « ان البركة أسرع الى أئيت الذي يستأثر فيه المعروف من الشجرة في سنام الجزيرة أو من السيل اتى منتهاه » . وقول الباقر (ع) : « ان من أحب عباد الله الى الله ، لمن حجب اليه المعروف وحجب اليه فعاله » . وقول الصادق (ع) : « ان من بقاء المسلمين وبقاء الاسلام أن تصير الاموال عند من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف ، وان من فناء الاسلام وفناء المسلمين أن تصير الاموال في ايدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف » . وقوله (ع) : « رأيت المعروف كاسه ، وليس شيء أفضل من المعروف الا ثوابه » . وقوله (ع) مخاطباً لزرارة : « ثلاثة ان تعلمن المؤمن كانت زيادة في عمره وبقاء لنعمه عليه . فقلت : وما هن ؟ فقال : تطويله في ركوعه وسجوده في صلاته ، وتطويله لجلوسه على طعامه اذا اطعم على مائدته ، واصطناعه المعروف الى أهله » . وقوله (ع) : « أقبلوا لأهل المعروف عشراتهم ، واغفروا لهم ، فان كف الله عليهم هكذا - وأوماً بيده كأنه يظلل بها شيئاً » . وقوله (ع) : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء » . وقال (ع) : « ان للجنة باباً يقال له المعروف ، لا يدخله الا أهل المعروف . وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة » : يعني كما أنهم يصنعون المعروف في الدنيا كذلك يصنعونه في الآخرة ، يهبون حسناتهم لمن شاءوا ، كما قال الصادق (ع) في خبر آخر : « يقال لهم في الآخرة : ان ذنوبكم قد غفرت لكم ، فهبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنة » . وقال (ع) : « قال اصحاب رسول الله (ص) : يا رسول الله ، فذاك أبأؤنا وامهاتنا ان

(٤٦) البقرة ، الآية : ٢٦١ .

(٤٧) البقرة ، الآية : ٢٦٢ .

احسب المعروف في الدنيا عرفوا بسمرفهم . فبهم يعرفون في الآخرة ؟ فقال (ص) : ان الله اذا ادخل أهل الجنة الجنة ، أمر ريحا عبقة طيبة فلصقت بأهل المعروف ، فلا يمر أحد منهم ببلأ من أهل الجنة الا وجدوا ريحه ، فقالوا : هذا من أهل المعروف « (٢٨) » .
ومنها - أي من رذائل القوة الشهوية - :

طلب الحرام

وعدم الاجتناب عنه . ولا رب في كونه مترتباً على حب الدنيا والحرص عليها ، وهو اعظم المهلكات ، به هلك أكثر من هلك ، وجل الناس حرموا عن السعادة لأجله ، ومنعوا عن توفيق الوصول الى الله بسبه . ومن تأمل يعلم أن اكل الحرام اعظم العجب للعبد من نيل درجة الابرار ، وأقوى الموانع له عن الوصول الى عالم الانوار ، وهو موجب لظلمة القلب وكدرته وهو الباعث لخبثه وغفلته . وهو العلة العظمى لخسران النفس وهلاكها ، وهو السبب الأقوى لفسادها وخبائثها ، وهو الذي انساها عهود الحمى ، وهو الذي أهواها في «هوى الضلالة والردى ، وما للقلب المتكون من الحرام والاستعداد لقيوضات عالم القدس ! وأنى للتطفة الحاصلة منه والوصول الى مراتب الانس ! وكيف يدخل النور والضياء في قلب أظلمته أدخنة المحرمات ؟ وكيف تحصل الطهارة والصفاء لنفس اجبثها قذارات المشتبهات ؟ !

ولأمر ما حذر عنه اصحاب الشرع وأمناء الوحي غاية التحذير ، وزجروا منه أشد الزجر . قال رسول الله (ص) : « ان الله ملكا على بيت المقدس : ينادي كل ليلة : من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل » : أي لا نافلة ولا فريضة . وقال (ص) : « من لم يبال من أين اكسب المال لم يبال الله من أين ادخله النار » . وقال (ص) : « كل لحم ثبت من حرام فالتار

(٢٨) صححتنا الاحاديث الواردة هنا على (الوافي) : ٢٨٩/٦ - ٢٩٠ .

وعلى (الوسائل) : كتاب الامر بالمعروف ، ابواب فعل المعروف ، الباب ١ - ٦ .

أولى به . » وقال (ص) : « من أصاب مالا من مائمه ، فوصل به رحبا أو تصدق به أو اتفق في سبيل الله ، جمع الله ذلك جعلا ثم أدخله في النار » .
وقال (ص) : « ان أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي هذه المكاسب الحرام ، والشهوة الخفية والربا » . وقال (ص) : « من اكتسب مالا من الحرام ، فإن تصدق به لم يقبل منه . وإن تركه وراءه كان زاده الى النار » (٤٩) .
وقال (ع) : « اذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ، ثم حج قلبى ، فودي : لا لييك ولا سعديك ! وإن كان من حله . فودي : لييك وسعديك ! » (٥٠) .
وقال (ع) : « كسب الحرام يبين في الذرية » . وقال (ع) في قوله تعالى :
« وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » (٥١) .

« ان كانت أعمالهم أشد بياضا من القباطي » فيقول الله عز وجل لها : كوني هباء وذلك انهم كانوا اذا شرع لهم الحرام أخذوه » (٥٢) . وقال الكاظم (ع) : « ان الحرام لا ينسى . وإن نسي لم يبارك فيه ، وإن اتفق لم يؤجر عليه » وما خلقه كان زاده الى النار » . وفي بعض الاخبار : « ان العبد ليوقفه عند الميزان . وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم . وعن ماله من أين اكتسبه وفيه اتفق » حتى تقضى تلك المطالبات كل أعماله ، فلا تبقى له حسنة . فتنادى الملائكة : هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا ، ولزتهن اليوم بأعماله » . وورد : « ان اهل الرجل واولاده يتعلقون به يوم القيامة . فيوقفونه بين يدي الله تعالى ، ويقولون : يا ربنا ، خذلنا بحقنا منه ، فانه ما علمنا ما نجهل ، وكان يطعمنا من الحرام » .

(٤٩) هذه النبويات - عدا الخامس - مذكورة في (احياء العلوم) : ٨١/٢ ، وصححناها عليه . اما الخامس ، فقد رواه في (الوسائل) عن (الكافي) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب منه ، الباب ١ : الحديث ١ .
(٥٠) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما

يكتسب به ، باب عدم جواز الانفاق من الكسب الحرام ، الحديث ٣ . وفي نسخ (جامع السماعات) : « اذا كسب » .

(٥١) الفرغان ، الآية : ٢٣ .
(٥٢) صححنا الحديث على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به ، الباب ١ : الحديث ٦ . وكذا ما قبله في هذا الباب ، الحديث ٣ .

ونحن لا نعلم • فيقتصر لهم منه » (١)

فصل

عزة تحصيل الحلال

ينبغي لطالب النجاة ان يفر من الحرام فراره من الاسد • ويحترز منه احترازه من الحية السوداء • بل أشد واني يمكنه ذلك في امثال زماننا الذي لم يبق فيه من الحلال الا الماء الفرات والحشيش التابت في ارض الموات • وما عداه قد اخبثته الايدي العادية • وافسدته المعاملات الفاسدة • مامن درهم الا وقد غضب من اهله مرة بعد اولى • ومامن دينار الا وقد خرج من ايدي من اخذه قهرا كره غباولى • جل المياه اولاراضى من اهلها مغضوبة • واني يمكن انقطع بحلية الاقوات واكثر المواشى والحيوانات من اهلها منهوبة • فاني يتأتى الحزم بحلية اللحوم والالبان والدسوم • فهيات ذلك هيات • مامن تاجر الا ومعاملته مع الظالمين • ومامن ذى عمل الا وهو مخالط للجائرين من عمال السلاطين •

وبالجيلة : الحلال في امثال زماننا مفقود • والسبيل دون الوصول اليه مسدود • ولعصى ! ان فقدته آفة عم في الدين ضررها • ونار استطار في الخلق شررها • والظاهر ان اكثر الاعصار كان حالها كذلك • ولذلك قال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) : « المؤمن يأكل في الدين بمنزلة المضطر » • وقال رجل للكناظم (ع) : « ادع الله جل وعز يرزقنى الحلال » فقال : اتدرى ما الحلال ؟ قال : الكسب الطيب • فقال : كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول : الحلال قوت المصطفىين • لكن قل : أسألك من رزقك الواسع • ومع ذلك كله • لا ينبغي للمؤمن ان ييأس من تحصيل الحلال • ويترك الفرق والفصل بين الاموال • فان الله سبحانه أجل واعظم من ان يكلف عباده يأكل الحلال ويسد عنهم طريق تحصيله •

(١) هذان الخبران الاخيران لم نعر لهما على مستند وقد ذكرهما في (احياء العلوم) : ٣ / ٣٠ • فقال عن الاول : « وفي الخبر » • وعن الثاني : « ويقال » •

فصل

أنواع الاموال

اعلم ان الاموال على اقسام ثلاثة : حلال بين ، وحرام بين ، وشبهات بينهما . ولكل منها درجات . فان الحرام وان كان كله خبيثا ، الا ان بعضه اخبث من بعض . فان ما يؤخذ بالمعاملة الفاسدة مع التراضي ليس في الحرمة كمال اليثيم الذي يؤخذ قهرا . وكذا الحلال وان كان كله طيبا ، الا ان بعضه اطيب من بعض ، والشبهة كلها مكروهة . ولكن بعضها اشد كراهة من بعض . وكما ان الطيب يحكم على كل خلو بالحرارة ، ولكن يقول بعضه حار في الدرجة الاولى ، وبعضه في الثانية ، وبعضه في الثالثة ، وبعضه في الرابعة . فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الاولى ، وبعضه في الثانية ، وبعضه في الثالثة ، وبعضه في الرابعة . وكذلك درجات الحلال في الصفاء والطيبة ، ودرجات الشبهة في الكراهة .

ثم الحرام اما يحرم لعينه ، كالكلب والخنزير والتراب وغيرها من المحرمات العينية ، او لصنة ، كحادثة فيه ، كالخمر لاسكاره ، والطعام المسوم لسميته ، او لخلل في جهة اثبات اليد عليه . وله اقسام غير محصورة ، كالمأخوذ بالظلم والقتل والغصب والسرقة والخيانة في الامانة وغيرها ، والغش والتليس والرشوة ، وبالبحس في الوزن والكيل ، وباحدى المعاملات الفاسدة ، من الربا والصرف والاحتكار . وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه . وقد نهي الله سبحانه عن جميع ذلك في آيات كثيرة . كقوله تعالى :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (٢) . وقوله : « ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما ... الآية » (٣) . وعن خصوص الربا بقوله : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » ، ثم قال : « فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » ، ثم قال : « وان تبتم فلکم رؤس أموالکم » (٤) ، ثم قال : « ومن عاد فاولئك أصحاب النار » (٥) .

(٢) البقرة : الآية : ١٨٨ .

(٣) النساء : الآية : ٩ .

(٤) البقرة : الآية : ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٥) البقرة : الآية : ٢٧٥ .

جعل أكل الربا في أول الأمر مؤديا إلى محاربة الله ، وفي آخره متعرضا للنار . وقد ورد الذم الشديد على كل واحد منها بخصوصه في أخبار كثيرة ، وهي في كتب الأخبار والفقه مذكورة ، وتفصيل جميع المحرمات موكول إلى كتب الفقه ، وليس هنا موضع بيانه ، فليرجع فيه إلى كتب الفقهاء .

الفرق بين الرشوة والهدية

وربما ينوهم الاستنباه في بعض الموارد بين الرشوة والهدية ، فلنشر إلى جلية الحال فيهما . فنقول : مهنا صور :

الأولى - أن يسلم أو يرسل مالا إلى بعض الإخوان طلبا للاستئناس . وتأكيذا للصحة والتودد . وقد عرفت كونه هدية وحلالا ، سواء قصد به الثواب في الآخرة والتقرب إلى الله تعالى أيضا ، أو لم يقصد به الثواب ، بل قصد مجرد الاستئناس والتودد .

الثانية - أن يقصد بالبذل عوض مالي معين في العاجل ، كأن يهدي الفقير إلى الغني أو الغني إلى الغني شيئا طمعا في عوض أكثر أو مساو من ماله . وهذا أيضا نوع هدية ، وحقيقته ترجع إلى هبة بشرط العوض ، وإذا وفى بها (يطعم فيه)^(٦) من العوض قد ريب في حليته . قال الصادق (ع) : « الربا رباءان : ربا يؤكل وربا لا يؤكل . فاما الذي يؤكل فهديتك إلى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها ، فذلك الربا الذي يؤكل ، وهو قول الله تعالى :

« وما آتيتهم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله » (٧) .

واما الذي لا يؤكل ، فهو الذي نهى الله عز وجل عنه ، وأوعده عليه النار^(٨) . وعنه عليه السلام : « قال : قال رسول الله (ص) : الهدية على ثلاثة وجوه : هدية مكافأة ، وهدية مصافعة ، وهدية لله عز وجل »^(٩) . وفي بعض الأخبار نوع اشعار بالحل ، وإن لم يتحقق الوفاء بها (يطعم فيه)^(١٠) .

(٦) في النسخ : « يطعمه » ، مرجحنا ما استنباه .

(٧) الروم ، الآية : ٣٩ .

(٨) صححه على (الوسائل) : كتاب التجارة : أبواب الربا ، الباب ٣ ،

الحديث ١ .

(٩) صححه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، أبواب ما يكتسب به ،

الباب ١١٦ ، الحديث ١ .

(١٠) في النسخ : « يطعمه » .

من العوض، كخبر اسحق بن عمار عن الصادق عليه السلام : « قال : قلت له عليه السلام : الرجل الفقير يهدي الى الهدية ، يتعرض لما عندي فأخذها ولا أعطيه شيئا يحل لي ؟ قال نعم ؛ هي لك حلال ولكن لا تدع ان تعطيه » (١) . وهل يحل مع اعطائه العوض المتسوع فيه اذا لم يكن من ماله ، بل كان من الاموال التي أعطته الناس ليصرف الى الفقراء من الزكوات والاحسان وسائر وجوه البر ، والظاهر الحل اذا كان المهدي من أهل الاستحقاق والمهدي له معطيا اياه ، وان لم يكن ليهدي له شيئا . وفيه تأمل ، كما يظهر بعد ذلك .

الثالثة — ان يقصد به الاعانة بعمل معين ، كالمحتاج الى السلطان او ذي شوكة يهدي الى وكيلهما ، او من له مكانة عندهما ، فينظر الى ذلك العمل ، فان كان حراما ، كالسعى في تنجز اضرار حرام او ظلم انسان او غير ذلك ، او واجبا ، كدفع ظلم او استخلاص حق ينحصر الدفع والاستخلاص به ، او شهادة معينة ، او حكم شرعي يجب عليه ، او امثال ذلك ، فهو رشوة محرمة يحرم أخذها ، وان كان العمل مباحا لاحراما ولا واجبا . فان كان فيه تعب ، بحيث جاز الاستنجار عليه ، فما يأخذه حلال وجار مجرى الجمالة ، كأن يقول : اوصل هذه الفضة الى السلطان ، ولك دينار . او اقترح على فلان ان يعينني على كذا او يعطيني كذا ، وتوقف تنجز غرضه على تعب او كلام طويل ، فما يأخذه في جميع ذلك مباح ، اذا كان الغرض مشروعاً مباحاً ، وهو مثل ما يأخذه وكيل القاضي للخصومة بين يديه ، بشرط ألا يتعدى من الحق . وان لم يكن العمل مباحا فيه تعب ، بل كان مثل كلمة او فعلة لا تعب فيها أصلا ، ولكن كانت تلك الكلمة او تلك الفعلة من مثله مفيدة ، لكونه ذا منزلة ، كقوله للبواب لا تطلق دونه باب السلطان ، فقال بعض العلماء : الأخذ على هذا حرام ، اذا لم يثبت في الشرع جواز ذلك . ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينه بها على دواء يتفرد بمعرفته . وفيه نظر ، اذ الظاهر جواز هذا

(١) صححه على (الوسائل) : كتاب التجارة ، ابواب ما يكتسب به ،

الآخذ مع مشروعية الغرض وعدم كونه واجبا عليه .

الرابعة — أن يطلب به حصول التودد والمحبة ، ولكن لا من حيث أنه تودد فقط ، بل ليتوصل بجاهه الى أغراض ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها ، وكان بحيث لولا جاهه لكان لا يهدى اليه ، فإن كان جاهه لأجل علم أو ورع أو نسب فالأمر فيه أخف ، والظاهر كون الآخذ حينئذ مكروها ، لأنه هدية في الظاهر مع كونه مشابها للرشوة . وإن كان لأجل ولاية تولاهها ، من قضاء أو حكومة أو ولاية صدقة أو وقف أو جباية مال أو غير ذلك من الأعمال السلطانية . فالظاهر كون ما يأخذه حراما لو كان بحيث لا يهدى اليه لولا تلك الولاية ، لأنه رشوة عرضت في معرض الهدية ، إذ القصد بها في الحال طلب التقرب والمحبة ، ولكن الأمر ينحصر في جنسه ، لظهور أن ما يمكن التوصل اليه بالولايات ماذا ، قال رسول الله — صلى الله عليه وآله — : « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية ، والقتل بالموعظة ، يقتل البريء فتوعظ به العامة » . وروى : « أنه (ص) بعث واليا على صدقات الأزدي . فلما جاء أمسك بعض مامعه ، وقال : هذا لكم وهذا لي هدية . فقال (ص) : ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هدية إن كنت صادقا ! ثم قال : مالي استعمل الرجل منكم ، فيقول : هذه لكم وهذه هدية لي ، ألا جلست في بيت أمه ليهدى له ! والذي نفسي بيده ! لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه الا أتى الله بحمله ، ولا يأتين أحدكم يوم القيامة يبيع له رغاء ، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر . . . ثم رفع يديه حتى رأوا بباض أبيه ، وقال : اللهم هل بلغت ؟ » (١٢) .

وعلى هذا ، فينبغي لكل وال أو حاكم وقاض وغيرهم من عمال المسلمين : أن يقدر نفسه في بيت أبيه وأمه معزولا بلا شغل ، فما كان يعطي حينئذ يجوز له أن يأخذه في ولايته أيضا ، وما لا يعطي مع عزله ويعطي لولايته يحرم أخذه ، وما أشكل عليه من عطايا أصدقائه فهو شبهة ، وطريق الاحتياط فيها واضح .

وصل

الورع عن الحرام

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه والاحتياط عنه ، وهو الورع
بأحد اطلاقيه . فان الورع قد يضمر بملكة التنزه والاجتناب عن مال الحرام
أكلا ومطبا وأخذاً واستعمالاً ، وقد يضمر بكف النفس عن مطلق المعاصي
ومنعها عما لا ينبغي . فعلى الاول يكون ضدا لعدم الاجتناب عن المال
الحرام . ويكون من ردائل قوة الشهوة ، وعلى الثاني يكون ضدا لملكة
الورع على مطلق المعصية ، ويكون من ردائل القوة الغضبية والشهوية جميعاً .
ثم الظاهر ان التقوى مرادفة للورع ، فان لها أيضاً تفسيرين : احدهما :
الاتقاء عن الاموال المحرمة ، وقد أطلقت التقوى في بعض الاخبار على هذا
المعنى . والثانيها : ملكة الاتقاء عن مطلق المعاصي ، خوفاً من سخط الله
ومطبا لرضاه . فعلى الاول يكون ضدا لعدم التنزه عن المال الحرام ورذيلة
لقوة الشهوة ، وعلى الثاني يكون ضدا لملكة ارتكاب المعاصي ورذيلة
للقوتين معاً .

ثم اللازم على طريقتنا ان يذكر الورع والتقوى بالتفسير الاول هنا ،
وبالتفسير الثاني في المقام الرابع الذي تذكر فيه ما يتعلق بالقوتين او بالثلاث
من الرذائل والفضائل . الا اننا نذكر ما ورد في فضيلتهما هنا ، لدلالة ما
ورد في فضيلتهما بالتفسير الثاني على فضيلتهما بالتفسير الاول أيضاً ، ولعدم
فائدة في استئناف عنوان على حدة لمطلق المعصية وذكر ما ورد في ذمها ،
ثم تذييلها بضدها الذي هو الورع والتقوى بتفسيريهما العام . اذ بعد
ذكر جميع الاجناس والانواع والاصناف من المعاصي والطاعات ، بأحكامها
ولوازمها ودمها ومدحها ، لافائدة لاستئناف ذكر مطلق المعصية او الطاعة ،
اذ لا يتعلق بهما غرض سوى ذكر ما ورد في ذم مطلق المعصية ، وما ورد
في مدح مطلق الطاعة ، وهذا أمر ظاهر لا حاجة اليه في كتب الاخلاق .
نعم ، نشير الى مطلق العصيان وضده ، أعنى الورع والتقوى بالمعنى الاعم ،
اجمالاً ، ضبطاً للانواع والاقسام .

فصل

مدح الورع

الورع والتقوى عن الحرام أعظم المنجيات . ومقدمة ما ينال به الى السعادات ورفع الدرجات . قال رسول الله (ص) : « خير دينكم الورع » . وقال (ص) : « من لقي الله سبحانه ورعا ، أعطاه الله ثواب الاسلام كله » . وفي بعض الكتب السأوية : « وأما الورعون ، فاني استحي أن أحاسبهم » . وقال الثبافر (ع) : « ان أشد العبادة الورع » . وقال (ع) : « ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه ، فأتقوا الله وأعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين أحد قرابة . أحب العباد الى الله تعالى وأكرمهم عليه أبفاهم وأعملهم بطاعته » . وقال الصادق (ع) : « أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ، واعلم انه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه » . وقال : « اتقوا الله وسوئوا دينكم بالورع » . وقال (ع) : « عليكم بالورع ، فانه لا ينال ما عند الله الا بالورع » . وقال (ع) : « ان الله حسن لمن اتقاه ، أن يحوله عما يكره الى ما يحب ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » . وقال (ع) : « ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى » . وقال (ع) : « ما قلل الله عبدا من ذل المعاصي الى عز التقوى ، الا أغناه من غير مال ، وأعزه من غير عشيرة ، وآنسه من غير بشر » . وقال (ع) : « انما اصحابي من أشد ورعه ، وعمل لخالفه ، ورجا ثوابه : هؤلاء اصحابي » . وقال (ع) : « الا وان من أتباع أمرنا وأرادته الورع ، فتزينوا به يرحمكم الله ، وكيدوا أعداءنا به ينعمكم الله » . وقال (ع) : « أعينونا بالورع ، فان من لقي الله تعالى منكم بالورع ، كان له عند الله فرجا » . ان الله عز وجل يقول :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١٣) .

فمن النبي ، ومن الصديق والشهداء والصالحون » . وقال أبو جعفر

— عليه السلام — : « قال الله عز وجل : يا بن آدم ، اجتناب ما حرم عليك ،

تكن من أروع الناس » . وسئل الصادق — عليه السلام — عن الورع من الناس ، فقال : « الذي يتورع عن محارم الله عز وجل » (١٤) .
ولكون طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه باعثا للهلاك ، وتوقف النجاة والسعادة في الآخرة على الورع عن المحرمات ، مع اقتتار الناس في الدنيا الى المطاعم والملابس ، ورد في فضيلة كسب الحلال ومدحه ما ورد .

قال رسول الله (ص) : « طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وقال (ع) : « من بات كالا من طلب الحلال ، بات مغفورا له » . وقال (ص) : « العبادة سبعون جزءا ، أفضلها طلب الحلال » . وقال (ص) : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة اجزائه في طلب الحلال » . وقال (ص) : « من أكل من كد يده ، نظر الله اليه بالرحمة ، ثم لا يعبذه أبدا » . وقال (ص) : « من أكل من كد يده حلالا ، فتح الله له أبواب الجنة ، يدخل من أيها شاء » . وقال (ص) : « من أكل من كد يده ، كان يوم القيامة في عداد الانبياء » . ويأخذ ثواب الانبياء » . وقال (ص) : « من طلب الدنيا استغففا عن الناس وسعيا على أهله وتعظفا على جاره ، لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر » (١٥) . وكان (ص) اذا نظر الى الرجل وأعجبه ، قال : « هل له حرفة ؟ فان قال : لا ، قال : سقط من عيني » . قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : لأن المؤمن اذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه » . وقال : — صلى الله عليه وآله — « من سعى على عياله من حله ، فهو كالمجاهد في سبيل الله » . وقال (ص) : « من طلب الدنيا حلالا في عفاف ، كان في درجة الشهداء » . وقال (ص) : « من أكل الحلال اربعين يوما ، نور الله قلبه ، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . وطلب منه

(١٤) صححنا الاحاديث الواردة في هذا الفصل على الكافي باب الطاعة والتقوى ، وباب الورع . وعلى البحار : ٢ / ١٥ / ٩٦ — ٩٨ باب الطاعة والتقوى ، وباب الورع واجتناب الشبهات .

(١٥) صححنا أكثر الاحاديث المذكورة هنا على الوسائل : كتاب التجارة ، ابواب مقدماتها ، الباب ٤ . وعلى فروع الكافي : كتاب المعيشة ، باب الحث على الطلب والتعرض للرزق .

— صلى الله عليه وآله — بعض الصحابة أن يجعله الله تعالى مستجاب الدعوة ، فقال له : « أطلب طعمتك تستجب دعوتك » . وقال الصادق عليه السلام : « اقرؤا من لقيتم من اصحابكم السلام ، وقولوا لهم : ان فلان بن فلان يقرؤكم السلام ، وقولوا لهم : عليكم بتقوى الله عز وجل ، وما ينال به ما عند الله ، اني والله ما آمركم الا بما لأمر به أنفسنا ، فعليكم بالجهد والاجتهاد ، واذا صليتم الصبح وأنصرفتم ، فبكروا في طلب الرزق ، وأطلبوا الحلال ، فان الله عز وجل سيزقكم ويعينكم عليه » (١٦) .

فصل

مداخل الحلال

اعلم أن مداخل الحلال خمسة :

الاول — ما لا يؤخذ من مالك ، كنبيل المعادن ، واحياء الموات ، والاصطياد ، والاحتطاب ، والاحتشاش ، والاستقاء من الشطوط والانهار . وهذا حلال بشرط عدم صيرورته مختصا بذى حرمة من الناس ، وتفصيل ذلك موكول الى كتاب احياء الموات .

الثاني — ما يؤخذ قهرا ممن لا حرمة له ، وهو الفئ ، والغنيمة ، وسائر أموال الكفار المحاربين . وذلك حلال للمسلمين بالشروط المقررة في كتاب الغنائم والجزية .

الثالث — ما ينتقل اليه بالرضى من غير عوض ، من حي او ميت ، كالهبة ، والميراث ، والوصية ، والصدقات . وهذا حلال بشرط ان يكون المنقول منه اكتسبه من مداخل الحلال ، وبضمن سائر الشروط المقررة في كتاب الهبات والقرايض والوصايا والصدقات .

الرابع — ما يؤخذ تراضيا ب معاوضة ، وذلك حلال بالشرائط والآداب المقررة في فن المعاملات من الفقه ، من البيع ، والسلم ، والاجارة ، والصلح ، والشركة ، والمضاربة ، والمزارعة ، والمساقاة ، والحوالة ، والضمان ، والكتابة ، والخلع ، والصداق ، وغير ذلك من المعاوضات .

الخامس — ما يحصل من الزراعة ومنافع الحيوانات . وهو حلال

(١٦) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب التجارة ، في الباب المتقدم .

إذا كان الأرض والبذر والماء والحيوانات حلالا بأحد الوجوه المتقدمة ،
فهذه مدخل الحلال ، فينبغي لطالب النجاة أن يكون ما يكتسبه من
المال من أحد هذه المداخل ، بعد فتوى الفقيه العدل بحصول شرائط الحلية .

فصل

درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على أربع درجات :
الاول - ورع العدول : وهو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق
بإتقانه ، وتسقط به العدالة ، ويشتهر به العصيان والتعرض للنار ، وهو
الورع عن كل ما يعرّمه فتوى المجتهدين .

الثانية - ورع الصالحين : وهو الاجتناب من الشبهات أيضا .
الثالثة - الورع عما يخاف اداؤه الى محرم او شبهة أيضا ، وان لم
يكن في نفسه حراما ولا شبهة ، فهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس .
الرابعة - ورع الصديقين : وهو الاجتناب عن كل ما ليس لله ،
ويتناول لغير الله ، وغير نيته التقوى على عبادته وان كان حلالا صرفا لا يخاف
اداءه الى حرام أو شبهة . والصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون
المتجردون عن حظوظ أنفسهم ، المتفردون لله تعالى بالقصد ، الراؤن كل
ما ليس لله تعالى حراما ، العاملون بقوله سبحانه :
« قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » (١٧) .

تتميم

قال الصادق (ع) : « التقوى على ثلاثة أوجه : تقوى من خوف
النار والعقاب ، وهو ترك الحرام ، وهو تقوى العام . وتقوى من الله ،
وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام . وهو تقوى الخاص . وتقوى في
الله ، وهو ترك الحلال فضلا عن الشبهة » (١٨) وإلى هذه المراتب الثلاث

(١٧) الانعام ، الآية : ٩١ .

(١٨) هذا مقتبس من « مصباح الشريعة » : الباب ٨٣ وفيه تقديم وتأخير
في مراتب التقوى عما هنا ولم يبين لنا وجه صحة التعبير : تقوى العام
وتقوى الخاص ، فائتناه كما وجدناه .

أشير في الكتاب الإلهي بقوله :

« ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا
وآمَنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمَنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب
المحسنين » (١٩) .

ومنها :

الغدر والخيانة

في المال أو العرض أو الجاه . ويدخل تحته الذهاب بحقوق الناس
خفية ، وحبسها من غير عسر ، وبالبخس في الوزن والكيل ، وبالعش بما
يخفى ، وغير ذلك من التلبيسات المسوغة والتلييسات المحرمة . وجميع
ذلك من خباثة القوة الشهوية ورذائلها ، ومن الرذائل المهلكة وخباثتها .
وقد وردت في ذم الخيانة وبأقسامها أخبار كثيرة ، وجميع ما يدل على ذم
الذهاب بحقوق الناس وأخذ أموالهم بدون رضاهم يدل على ذمها .

وضد الخيانة (الامانة) ، وقد وردت في مدحها وعظم فوائدها أخبار
كثيرة ، كقول الصادق عليه السلام : « أن الله عز وجل لم يبعث نبيا الا بصدق
الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر » . وقوله عليه السلام : « لا تفتروا
بصلاتهم ولا بصيامهم ، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه
استوحش ، ولكن اختبروهم بصدق الحديث واداء الامانة » (٢٠) وقوله
عليه السلام : « انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله (ص) فالزمه
فإن عليا عليه السلام انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله (ص) بصدق الحديث
واداء الامانة » (٢١) . وقوله عليه السلام « ثلاث لا عذر فيها لاحد : آداء
الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد الى البر والفاجر ، ويز الوالدين

(١٩) المائدة ، الآية : ٩٦ .

(٢٠) في نسخ جامع السماعات والبحار والوسائل : « عند صدق
الحديث ... » . ورجحنا نسخة الكافي .

(٢١) صححنا هذه الاحاديث الثلاثة على البحار : ٢ مج ١٥ / ١٢٢ -

١٢٤ : باب الصدق ولزوم اداء الامانة وعلى الكافي : باب الصدق واداء الامانة .

وعلى الوسائل : كتاب الوديعة الباب ١ .

برين كانوا او فاجرين» (٢٢) . وقوله عليه السلام : « كان ابي يقول : اربع من كن فيه كمل ايمانه ، وان كان من قرنه الى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك وهي : الصدق ، واداء الامانة ، والحياء ، وحسن الخلق » (٢٣) . وقوله عليه السلام : « اهل الارض مرحومون ما يخافون وأدوا الامانة وعملوا بالحق » . وقيل له عليه السلام : « ان امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها انجوارى فيصلحن ، ومع ذلك ما رأينا مثل ما رأينا مثل ما حسب عليها من الرزق . فقال : انها صدقت الحديث وأدت الامانة ، وذلك يجلب الرزق » (٢٤) . والاختبار في فضيلة الامانة كثيرة . ولقد قال لقمان : « ما بلغت الى ما بلغت اليه من الحكمة ، الا بصدق الحديث واداء الامانة » . فمن تأمل في ذم الخيانة وايجابها القضيحة والعار في الدنيا والعذاب والنار في الآخرة ، وفي فضيلة الامانة وادائها الى خير الدنيا وسعادة الآخرة ، سهل عليه ترك الخيانة والانصاف بالامانة .

ومنها :

أنواع الفجور

من الزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، والاشتغال بالملاهي ، واستعمال آلاتها ، من العود ، والمزمار ، والرباب ، والدف ، وامثالها . فان كل ذلك من رذائل القوة الشهوية . وكذا لبس الذهب والحري للرجال . وقد وردت في ذم كل واحد منهما بخصوصه اخبار كثيرة ، ولا حاجة الى ذكرها ، لشيوعها واشتهارها .

ومنها :

الخوض في الباطل

وهو التكلم في المعاصي والفجور وحكايتها ، كحكايات احوال النساء ،

(٢٢) روى في الكافي باب بر الوالدين - : هذا الحديث عن ابي جعفر عليه السلام - وجاء فيه : « ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة ... » ، ولكن في الوسائل - كتاب الوديعة الباب ٢ الطبعة الحجرية - رواه عن الكافي كما في المتن .

(٢٣) روى في الكافي باب حسن الخلق - هذا الحديث عن الصادق عليه السلام - ، وليس فيه : « كان ابي يقول » .

(٢٤) صححنا الحديث على الوسائل : كتاب الوديعة ، الباب ١ ، وهو برويه عن الكافي .

ومجالس الخسر : ومقامات الشقاق : وتعم الاغنياء : وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة : وامثال ذلك . فكل ذلك من رداءة القوة الشهوية وخبائثها .

ثم لما كانت انواع الباطل غير محصورة لكثرتها : فالخوض فيه ايضا كذلك . وتكون له انواع غير متناهية ، ولا يفتح باب كلام الا وينتهي الى واحد منها : فلا خلاص منه الا باقتصار الكلام على قدر الحاجة من مهمات الدين والدنيا . وربما وقعت من الرجل من انواع الخوض في الباطل كلمة تهلكه وهو مستحقر لها ، فان اكثر الخوض في الباطل حرام ، ولذا قال رسول الله (ص) : « اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل » .
واليه الاشارة بقوله تعالى :

« وكنا نخوض مع الخائضين » (٢٥) . وقوله تعالى : « فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره » (٢٦) .

وقال (ص) : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، ما يظن ان تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة . وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، ما يظن ان تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة » (٢٧) . وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : « اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة ، اكثرهم كلاما في معصية الله » . وكان رجل من الانصار يسر على مجلس الخائضين في الباطل ، فيقول لهم : « توضعوا ، فان بعض ما تقولون شر من الحديث » .

ثم الخوض في الباطل هو ذكر محظورات سبق وجودها بمجرد شهوة النفس ، من دون حاجة داعية اليه ، فلا مدخلة له بشل الغية والنسيمة والفحش والمراء والجدال وأمثالها ، ويدخل فيه الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة ، فان الحديث عنها خوض في الباطل ، وورد النهي عنه .

(٢٥) المدثر ، الآية : ٥٠ .

(٢٦) النساء ، الآية : ١٣٩ .

(٢٧) صححناه على كثر العمال : ٢ / ١١٢ .

الى السؤال عنه آفة ، ولو كان في جوابه آفة — كما هو الشأن في اكثر الاسئلة عما لا يعينك — كنت آثما غاصيا . مثالا : لو سألت غيرك عن عبادته ، فتقول : هل انت صائم ؟ فان قال : نعم ، كان مظهرا لعبادته ، فيدخل عليه الرياء ؛ وان لم يدخل الرياء سقطت عبادته — على الاقل — من دون عبادة السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وان قال : لا ، كان كاذبا ؛ وان سكت ، كان مستحقرا اياك وتأذيت به ، وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى تعب وجهد فيه . فقد عرضته بالسؤال اما للرياء والكذب ، او للاستحقار ، او التعب في حيلة الدفع .

وكذلك سؤالك عن كل ما يخفى ويستحي من اظهاره ، او عما يحتسل ان يكون في اظهاره مانع ، كان يحدث به احد غيرك بفتسأله وتقول : ماذا تقول ؟ وفيهم ائتم ؟ وكان ترى انسانا في الطريق فتقول : من اين ؟ اذ ربما ينزع مانع من اظهار مقصوده . ومن هذا القبيل سؤالك غيرك : لم انت ضعيف ؟ او ما هذا الضعف او الهزال الذي حدث بك ؟ او أي مرض فيك ؟ وامثال ذلك . واشد من ذلك ان تخوف مريضا بشدة مرضه ، وتقول : ما أشد مرضك وما اسوأ حالك ! فان جميع ذلك وامثالها ، مع كونها من فضول الكلام والخوض في ما لا يعين ، يتضمن اثما وايذاء . وليس من مجرد التكلم بما لا يعين والفضول ، وانما مجرد مالا يعين مالا يتصور فيه ايذاء وكسر خاطر واستحياء من الجواب ، كما روى : « ان لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ، ولم يكن يراها قبل ذلك ، فجعل يتعجب مما يرى . فأراد ان يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة ، فأمسك نفسه ولم يسأله . فلما فرغ داود ، قام ولبسها ، وقال : نعم الدرع للحرب ا فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله » . وهذا وامثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وابتغاع في رياء او كذب ، فهو مما لا يعين ، وتركه من حسن الاسلام .

فصل

علاج الخوض فيما لا يعين

سبب الخوض في ما لا يعين وفي فضول الكلام : اما الحرص على معرفة

ما لا حاجة اليه ، أو المباشطة بالكلام على سبيل التودد ، أو تزجية الوقت بحكايات أحوال لا فائدة فيها ، وكل ذلك من رداءة قوة الشهوة . وعلاج ذلك من حيث العلم : أن يتذكر ذمه كما مر ، ومدح ضده ، اعني الصمت وتركه . كما يأتي . ويعلم ان الموت بين يديه . وانه مسؤول عن كل كلمة وان انقاسه رأس ماله ، وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحبور العين : فاهماله وتضييعه خسران ، ومن حيث العمل ان يعتزل عن الناس مهسا امكن ، ويلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود لسانه ترك ما لا يعنيه ، وان يقدم التأمل والتروي على كل كلام يريد ان يتكلم به ، فان كان فيه فائدة دينية أو دنيوية تكلم به والا تركه . وكان بعضهم يضع في فمه حجرا ، خوفا من التكلم بالتفصّل وما لا يعنيه .

وصل

الصمت

ضد التكلم بما لا يعنيه وبالتفصّل تركها ، اما بالصمت او بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بدينه أو دنياه . وفوائد الصمت ومدحه يأتي في موضعه . وقد وردت أخبار في المدح على خصوص ترك ما لا يعنيه وفصول الكلام . كقول النبي (ص) : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . وقوله (ص) : « طوبى لمن امسك بالفضل من لسانه ، وانفق الفضل من ماله ! » . وانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك ، فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان . وروي : « انه (ص) قال ذات يوم : ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة . فلما دخل هذا الرجل ، قالوا له : اخبرنا بأوثق عليك في نفسك ترجو به . فقال : اني رجل ضعيف العسل ، واوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني » . وقال (ص) لأبي ذر : « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان . قال : بلى يا رسول الله . قال : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك ما لا يعينك » . قال ابن عباس : « خسر من احسن من الدراهم الموقفة : لا تتكلم فيما لا يعينك ، فانه فضل ولا آمن عليك الوزر . ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعا ، فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت . ولا تمار حلما

ولا سفيها ، فان الحليم يغلبك بصمته ، وان السفيفه يؤذيك بمنطقه . واذكر
أخاك اذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به ، واعفه مما تحب أن يعفيك منه .
واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاحترام ^(٢٩٩) . وقيل
للقمان : ما حكمتك؟ قال : « لا أسأل عما كفيت ، ولا أتكلف ما لا يعني » .
وما ورد في فضيلة ترك الفضول وما لا يعني في أخبار الحجج عليهم السلام
وكلمات الاكابر من الحكماء والعرفاء اكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه كاف
لأهل الاستبصار .

(٢٩٩) ذكر هذه الرواية من ابن عباس في (احياء العلوم) : ٩٧/٣ .
وفيه اختلاف كثير مما هنا ، ولم يحصل لنا ان نحققها على مصدر آخر .
والاحاديث النبوية هنا رواها في (احياء العلوم) ايضا في الموقع المذكور .

المقام الرابع

فيما يتعاق بالثلاث من العاقلة وقوتي الغضب والشهوة ، او بالتنتين منها

من الرذائل والفضائل

الحسد وذمه — الغبطة — بواعث الحسد — لا تعاسد بين علماء الآخرة
والعارفين — علاج الحسد — القدر الواجب في نفي الحسد — النصيحة
الايداء والاهانة — كف الاذى — ذم الظلم — العدل — اخافة المؤمن — ادخال
السرور على المؤمن — ترك اغانة المسلمين — قضاء حوائج المسلمين — المداينة
في الامر بالمعروف — السعي فيه — وجوبه وشروطه — لا تشترط العدالة
فيه — مراتبه — ما ينبغي في الامر والنهي — انواع المنكرات — الهجران —
التألف — قطع الرحم — صلة الرحم — المراد منه — عقوق الوالدين —
برهنا — حق الجوار — حدود الجوار وحقه — طلب العشرات — ستر العيوب
— افشاء السر — كتمان السر — النسيئة — السعاية — الافساد بين الناس —
الاصلاح — الشماعة — المراء — علاجه — طيب الكلام — السخرية — المزاح
— المذموم منه — الغيبة — لا تنحصر الغيبة باللسان — بواعثها — ذمها —
مسوغاتها — كفارتها — البهتان — المدح — الكذب — ذمه — مسوغاته —
التورية والمبالغة — شهادة الزور — علاج الكذب — الصدق ومدحه —
انواعه — اللسان اضر الجوارح — الصمت — حب الجاه — ذمه — الجاه
احب من المال — لا يد للإنسان من جاه — دفع اشكال — الكمال الحقيقي
في العلم والقدرة والجاه والمال — علاج حب الجاه — الخمول — مراتب
حب المدح — اسبابه — علاجه — ضد حب المدح — الرياء — ذمه — اقسامه —
تأثير الرياء على العبادة — السرور بالاطلاع على العبادة — متعلقات الرياء —
بواعثه — الرياء الجلي والخفي — كف يفسد الرياء العمل — شوائب الرياء
المبطله للعمل — علاجه — الوسوسة بالرياء — الاخلاص — مدحه — آفاته
— النفاق •

فمنها :

الحسد

وهو تمني زوال نعم الله تعالى عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح ، فإن لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو (غبطة) ومنافسة ، فإن لم يكن له فيها صلاح وارتدت زوالها عنه فهو (غيرة) . ثم إن كان باعث حسدك مجرد الحرص على وصول النعمة إلى نفسك ، فهو من رداءة القوة الشهوية وإن كان باعثه محض وصول المكروه إلى المحسود ، فهو من رذائل القوة الغضبية ، ويكون من نتائج الحقد الذي هو من نتائج الغضب ، وإن كان باعثه مركبا منهما ، فهو من رداءة القوتين . وضده (النصيحة) ، وهي إرادة بقاء نعمة الله على أخيك المسلم مما له فيه صلاح .

ولا ريب في أنه لا يمكن الحكم على القطع بكون هذه النعمة صلاحا أو فسادا . فربما كانت وبالاعلى صاحبه فسادا له ، مع كونها نعمة وصلاحا في باديء النظر . فالمناط في ذلك غلبة الفتن ، فما ظن كونه صلاحا فأراد زواله حسد وإرادته بقاءه نصيحة ، وما ظن كونه فسادا فأراد زواله غيرة .

ثم إن اشتبه عليك الصلاح والفساد ، فلا ترد زوال نعمة أخيك ولا بقاءها إلا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح ، لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك حكم النصيحة . والمعيار في كونك ناصحا : أن تريد لأخيك ما تريد لنفسك ؛ وتكره له ما تكره لنفسك . وفي كونك حاسدا : أن تريد له ما تكره لنفسك ؛ وتكره له ما تريد لنفسك .

فصل

ذم الحسد

الحسد أشد الأمراض وأصعبها ، وأسوأ الرذائل وأخبثها ، ويؤدي بصاحبه إلى عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة ؛ لأنه في الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والالام ؛ إذ هو يتألم بكل نعمة يرى لغيره ، ونعم الله تعالى غير متناهية لا تنقطع عن عباده ؛ فيدوم حزنه وتألمه . فويل لحسده يرجع إلى نفسه ؛ ولا يضر المحسود أصلا ؛ بل يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث

انه يعيبه ؛ ويقول فيه ما لا يجوز في الشريعة ؛ فيكون ظالماً عليه ؛ فيحمل بعضاً من اوزاره وعصيانه ؛ وتنقل صالحات اعماله الى ديوانه ، فحسده لا يؤثر فيه الا خيراً ونفعاً ، ومع ذلك يكون في مقام التعاند والتضاد مع رب الارباب وخالق العباد ، اذ هو الذي افاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء واراد بمقتضى حكمته ومصلحته ، فحكمته الحققة الكاملة اوجبت بقاء هذه النعمة على هذا العبد ، والحاسد المسكين يريد زوالها ، وهل هو الا سخط قضاء الله في تفضيل بعض عبادہ على بعض ، وتمنى انقطاع فيوضات الله التي سدرت عنه بحسب حكمته وارادة خلاف ما اراد الله على مقتضى مصلحته ؟ بل هو يريد نقصه سبحانه . وعدم اتصافه بصفاته الكمالية . اذ افاض النعم منه سبحانه في اوقاتها الثلاثة على مجالها المستعدة من صفاته الكمالية التي غدها نقص عليه تعالى ، والا لم يصدر عنه ، وهو يريد ثبوت هذا النقص ، ثم لتسفيه زوال النعم الالهية التي هي الوجودات ورجوع الشرور الى الاعدام يكون طالبا للشر ومحباً له . وقد صرح الحكماء بأن من رضى بالشر ، ولو بوصوله الى العدو ، فهو شرير . فالحسد أشد الرذائل ؛ والحاسد شر الناس . وأي معصية أشد من كراهة راحة مسلم من غير ان يكون له فيها مضرة ؟ ولذا ورد به الذم الشديد في الآيات والاخبار ، قال الله سبحانه في معرض الانكار :

« ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (١) . وقال : (لود كثير من اهل الكتاب ان يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم) (٢) . وقال : « ان تمسكم حسنة تسؤوهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها » (٣) .

وقال رسول الله (ص) : « الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » . وقال (ص) : « قال الله عز وجل لموسى بن عمران يا بن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ، ولا تمدن عينيك الى ذلك ،

(١) النساء ، الآية : ٥٣ .

(٢) البقرة ، الآية : ١٠٩ .

(٣) آل عمران ، الآية : ١٢٠ .

حب مباحات الدنيا والتشبع فيها ، والاول لا كراهة فيه بوجه ، بل هو مندوب اليه . والثاني وان لم يكن حراما ، الا انه ينقص درجته في الدين ، ويوجب عن المقامات الرفيعة ، لمنافاته الزهد والتوكل والرضا .

ثم الغبطة لو كانت مقصورة على مجرد حب الوصول الى مثل ما للمغبوط ، لكونه من مقاصد الدين والدنيا ، من دون حب مساواته له وكراهة نقصانه عنه : فلا حرج فيه بوجه ، وان كان معه حب المساواة وكراهة التخلف والنقصان ، فهذا موضع خطر . اذ زوال النقصان اما بوصوله الى نعمة المغبوط أو بزوالها عنه ، فاذا انسدت احدى الطريقتين تكاد النفس لا تنفك عن شهوة الطريقة الاخرى . اذ يبعد أن يكون انسان مريدا لمساواة غيره في النعمة فيعجز عنها ، ثم لا ينفك عن ميل الى زوالها ، بل الاغلب ميله اليه . حتى اذا زالت النعمة عنه كان ذلك عنده أشهى من بقائها عليه ، اذ بزوالها يزول نقصانه وتطلقه عنه . فان كان بحيث لو ألقى الامر اليه ورد الى اختياره لسمى في ازالة النعمة عنه ، كان حاسدا حسدا مذموما . وان منعه مانع العقل من ذلك السعى ، ولكنه وجد من طبعه الفرح والارتياح بزوال النعمة عن المغبوط ، من غير كراهة لذلك ومجاهدة لدفعه ، فهو أيضا من مذموم الحسد ، وان لم يكن في المرتبة الاولى . وان كره ما يجد في طبعه من السرور والانبساط بزوال النعمة بقوة عقله ودينه ، وكان في مقام المجاهدة لدفع ذلك عن نفسه ، فمقتضى الرحمة الواسعة ان يعفى عنه ؛ لان دفع ذلك ليس في وسعه وقدرته الا ببشاق الرياضات . اذ مامن انسان الا ويرى من هو فوقه من معارفه وأقاربه في بعض النعم الإلهية ، فاذا لم يصل الى مقام التسليم والرضا ، كان طالبا لمساواته له فيه ، وكارها عن ظهور نقصانه عنه . فاذا لم يقدر أن يصل اليه ، مال طبعه بلا اختيار الى زوال النعمة عنه ، وأهتز وارتاح به حتى ينزل هو الى مساواته . وهذا وان كان قصا تنحط به النفس عن درجات المقربين ، سواء كان من مقاصد الدنيا او الدين ، الا انه لكراهته له بقوة عقله وتقواه ، وعدم العمل بسقنضاد ، يعفى عنه ان شاء الله ، وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له . وقد ظهر من تضاعيف ما ذكرناه أن الحسد المذموم له مراتب اربع :

الاولى — أن يحب زوال النعمة عن المحسود وإن لم تنتقل اليه ، وهذا الخبث المراتب وأشدها ذما .

الثانية — أن يحب زوالها لرغبته في عينها ، كرجسته في دار حسنة معينة ، أو امرأة جميلة بعينها ، ويحب زوالها من حيث توقف وصوله اليها عليه ، لامن حيث تنعم غيره بها . ويدل على تحريم هذه المرتبة وذمها قوله تعالى :

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » (٨) .

الثالثة — ألا يشتهي عينها ، بل يشتهي لنفسه مثلها ، إلا أنه انعجز عن مثلها أحب زوالها عنه ، كيلا يظهر التفاوت بينهما ، ومع ذلك لو خلى وطبعه ، آجتهد وسعى في زوالها .

الرابعة — كالثالثة ، إلا أنه ان اقتدر على ازالها منعه قاهر العقل أو غيره من السعى فيه ، ولكنه يهتز ويرتاح به من غير كراهة من نفسه لذلك الارتياح .

والغبطة لها مرتبتان :

الاولى — أن يشتهي الوصول الى مثل ما للمغبوط ، من غير ميل الى المساواة وكراهة للنقصان ، فلا يحب زوالها عنه .

الثانية — أن يشتهي الوصول اليه مع ميله الى المساواة وكراهته للنقصان ، بحيث لو عجز عن قلبه ، وجد من طبعه حبا خفيا لزوالها عنه ، وارتاح من ذلك ادراكا للمساواة ودفعاً للنقصان ، إلا أنه كان كارها من هذا الحب ، ومغضبا على نفسه لذلك الارتياح ، وربما سميت هذه المرتبة بـ (الحسد المعقور عنه) وكأنه المقصود من قوله (ص) : « ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن : الحسد ، والظن ، والطيرة ... » ثم قال : وله منهن مخرج ، اذا حسدت فلا تبغ — أي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به ، وكن كارها له — واذا ظننت فلا تحقق ، واذا تطيرت فامض » .

طلبها المتفرد به كتحاسد الضرات في مقاصد الزوجية ، والاخوة في نيل المنزلة في قلب الابوين توصلا الى مالهما ، والتلامذة لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه ، وندماء الملك وخوامسه في نيل المنزلة والكرامة عنده ، والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على أهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم ، اذا كان غرضهم ذلك .

الخامس - التعزز : وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه بعض اقاربه ، ويعلم انه لو اصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره ، وهو لا يطيق ذلك لعزة نفسه ، فيحسده لو اصاب تلك النعمة تعززا لنفسه . فليس غرضه أن يتكبر ، لانه قد رضى بمساواته ، بل غرضه ان يدفع كبره .

السادس - التكبر : وهو أن يكون في طبعه الترفع على بعض الناس ، ويتوقع منه الاتقياد والمتابعة في مقاصده ، فاذا قال بعض النعم خاف الا يحتل تكبره ويترفع عن خدمته ، وربما أراد مساواته أو التفوق عليه ، فيعود مخدوما بعد أن كان خادما ، فيحسده في وصول النعمة لأجل ذلك . وقد كان حسد اكثر الكفار لرسول الله (ص) من هذا القبيل ، حيث قالوا : كيف يتقدم علينا غلام فقير يتييم ؟

« لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (٩) .

السابع - التعجب : وهو أن يكون المحسود في نظر الحاسد حقيرا ، والنعمة عظيمة ، فيعجب من فوز مثله بمثلها ، فيحسده ويحب زوالها عنه ، ومن هذا القبيل حسد الامم لانبياهم ، حيث قالوا :

« ما انتم الا بشر مثلنا » (١٠) . « فقالوا : انؤمن لبشرين مثلنا ؟ » (١١) .

« ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون » (١٢) .

فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبة الوحي والرسالة ، وحسدوه

(٩) الزخرف ، الآية : ٣١ .

(١٠) يس ، الآية : ١٥ .

(١١) المؤمنون ، الآية : ٤٨ .

(١٢) المؤمنون ، الآية : ٣٤ .

بمجرد ذلك ، من دون قصد تكبر او رئاسة او عداوة او غيرها من أسباب الحسد .

وقد تجتمع هذه الاسباب او أكثرها في شخص واحد ، فيعظم لذلك حسده ، وتقوى قوة لا يقدر معها على المجاملة ، فتظهر العداوة بالمكاشفة . وربما قوى الحسد بحيث يتسنى صاحبه ان يزول عن كل أحد ما يراه من النعمة ، ويشتغل اليه . ومثله لا ينفك عن الجهل والحرص ، اذ هو يتسنى استجماع جميع النعم والخيرات الحاصلة لجميع الناس له ، ولا ريب في استحالة ذلك ، ولو قدر امكانه لا يمكنه الاستمتاع بها ، فلو لم يكن حريصا لم تسن ذلك أصلا ، ولو كان عالما لدفع هذا التمني بقوته العاقلة . (تنبيه) بعض الاسباب المذكورة ، كما يقتضى ان يتسنى زوال النعمة والسرور به كذلك يقتضى تسنى حدوث البلية والارتياح منه . الا أن المعدود من الحسد هو الاول والثاني معدود من العداوة . فالعداوة أعم منه ، اذ هي تسنى وقوع مطلق الضرر بالعدو ، سواء كان زوال نعمة أو حدوث بلية . والحسد تسنى زوال مجرد النعمة .

فصل

لاتحاسد بين علماء الآخرة والعارفين

الاسباب المذكورة انما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون لأجلها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض ، فاذا خالف بعضهم بعضا في غرض من أغراضه ، أبغضه وثبت فيه الحق ، فعند ذلك يريد استحقاقه والتكبر عليه ، ويكون في صدد مكشافته على المخالفة لغرضه ، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى أغراضه ، فيتحقق الحسد . ولذا ترى أنه لاتحاسد بين شخصين في بلدين متباعدين ، لعدم رابطة بينهما ، الا اذا تجاورا في محل واحد ، وتواردوا على مقاصد تظهر فيها مخالفة بينهما ، فيحدث منهما التباغض ، وتثور منه بقية أسباب الحسد . وترى كل صنف يحسد مثله دون غيره ، لتواردهما على المقاصد ، وتزاحمهما على صنعة واحدة . فالعالم يحسد العالم دون العابد ، والتاجر يحسد التاجر دون غيره . الا بسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفة ، وهكذا يغم من أشد حرصه على حب الجاه وأحب الصيت والاشتهار في جميع أطراف العالم وشقاق

التفرد بها هو فيه ، فإنه يحسد كل من في العالم ممن يشاركه في الفن الذي يتفخر به .

ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا ، إذ منافعها لضيقها وانحصارها تصير محل التزاحم والتعارك ، بحيث لا يمكن وصول منفعة منها ، كمنصب أو مال ، إلى أحد إلا بزوالها عن الآخر ، وأما الآخرة ، فلا ضيق فيها ، فلا تنازع بين أهلها . ومثالها في الدنيا العلم ، فإنه مزود عن المراحة ، فمن يحب العلم بالله وصفاته وأفعاله ومعرفة النظام الجملي من البدو إلى النهاية ، لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا . إذ العلم لا يضيق عن كثرة العالمين ، والمعلوم الواحد يعرفه الله الله عالم ، ويقرح كل واحد منهم بمعرفته ويلتذ به ، ولا ينقص ماله به بمعرفة غيره . بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمره الاستفادة والاستفادة . إذ معرفة الله بحر واسع لا يضيق فيه ، وكل علم يزيد بالاتفاق وتشريك غيره من أبناء النوع . يصير منشأ لزيادة اللذة والبهجة ، وقس على العلم التقرب والمنزلة عند الله وغيرهما من النعم الآخروية . فإن أجل ما عند الله من النعم وأعلى مراتب المنزلة والتقرب عنده تعالى لذاته لقائه ، وليس فيها مسانعة ومراحة ، ولا يضيق بعض أهل اللقاء على بعض ، بل يزيد الانس بكثرتهم .

وقد ظهر مما ذكر : أنه لا تحاسد بين علماء الآخرة ، لأنهم يلتذون ويستهجون بكثرة المشاركين في معرفة الله وحبه وألمسه ، وإنما يقع التحاسد بين علماء الدنيا ، وهم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاد . إذ المال أعيان وأجسام ، إذا وقعت في يد واحد خلت عنها أيدي الآخرين . والجاه ملك القلوب ، وإذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم ، أنصرف عن تعظيم الآخر ، أو قصص عنه لامحالة ، فيكون ذلك سببا للتحاسد . وأما إذا امتلأ قلبه من الابتهاج بمعرفة الله ، لم يمنع ذلك من أن يستلذ غيره به . فلو ملك إنسان جميع ما في الأرض ، لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه وانحصاره . وأما العلم فلا نهاية له ، ومع ذلك لو ملك إنسان بعض العلوم ، لم يمنع ذلك من تملك غيره له .

فظهر أن الحسد إنما هو في التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء

ولو تصورت زوال النعمة عن محسودك بحسدك ، وعدم زوالها عنك بحسد حاسدك ، لكنت أجهل الناس واشدهم غباوة . نعم . ربما صار حسدك منشأ لا تشاء فضل المحسود ، كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة مظلوم ، أتاح لها لسان محسود
فإذا لم تزل نعته بحسدك ، لم يضره في الدنيا ، ولا يكون عليه أثم
في الآخرة .

وأما أنه ينفعه في الدين ، فذلك ظاهر من حيث كونه مظلوماً من جهتك
(لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى ما لا ينبغي من القول والفعل ، كالغيبة ،
والبهتان ، وهتك ستره ، وإفشاء سره ، والتدح فيه ، وذكر مساويه .
فتحتل بهذه الهدايا التي تهديها إليه بعضاً من أوزاره وعصيانته ، وتنقل
شطراً من حسناتك إلى ديوانه . فيلقا اليوم القيامة مفلساً محروماً عن الرحمة
كما كنت تلقاه في الدنيا محروماً عن النعمة . فاضفت له نعمة إلى نعمة ،
ولنفسك نعمة إلى نعمة .

وأما أنه ينفعه في الدنيا ، فهو أن أهم أغراض الناس مساواة الأعداء
وسوء حالهم ، وكونهم متألمين معذبين . ولا عذاب أشد مما آتت فيه من
ألم الحسد . فقد فعلت بنفسك ما هو غاية مراد حسادك في الدنيا . وإذا
تأملت هذا ، عرفت أن كل حاسد عدو نفسه ، وصديق عدوه . فمن تأمل
في ذلك ، وتذكر ما يأتي من فوائد النصيحة وحب الخير والنعمة للمسلمين ،
ولم يكن عدو نفسه ، فارق الحسد البتة .

وأما العمل النافع فيه ، فهو أن يواظب على آثار النصيحة التي هي
ضده ، بأن يصمم على أن يكلف نفسه بنقيض ما يقتضيه الحسد من قول
وفعل ، فإن بعثه الحسد على التكبر عليه ، ألزم نفسه التواضع له ، وإن
بعثه على غيته والتدح فيه ، كلف لسانه المدح والثناء عليه ، وإن بعثه على
الغش والخرق بالنسبة إليه ، كلف نفسه بحسن البشر واللين معه ، وإن بعثه
على كف الانعام عنه ، ألزم نفسه زيادته . ومهما فعل ذلك عن تكلف وكرره
وداوم عليه ، انقطعت عنه مادة الحسد على التدريج . على أن المحسود إذا
عرف منه ذلك طاب قلبه وأحبه ، وإذا ظهر حبه للحاسد زال حسده وأحبه

فهذا القسم من الحسد أشد اقواحه ، لترتب معصيته على أصله . وأخرى على ما يصدر عنه من آثاره المذمومة .

(٢) أولا يبعثه على اظهاره بالآثار القولية والفعالية . بل يكف ظاهره عنها الا انه يباطنه بحب زوال النعمة من دون كراهة في نفسه لهذه الحالة . ولا ريب في كونه مذموما محرما ايضا ، لانه كسابقه بعينه ، ولا فرق الا في انه لا تصدر منه الآثار الفعلية والقولية الظاهرة ، فهو ليس بسطلسة بحسب الاستحلال منها ، بل معصية بينه وبين الله ، لان الاستحلال انما هو من الافعال الظاهرة الصادرة من الجوارح .

(٣) أولا يبعثه على الآثار الذميمة الفاهرة ، ومع ذلك يلزم قلبه كراهة ما يترشح منه طبعاً من حب زوال النعمة ، حتى انه يسقت نفسه ويقهرها على هذه الحالة التي رسخت فيها . والظاهر عدم ترتب الاثم عليه ، اذ تكون كراهته التي من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع ، فقد أدى الواجب عليه . وأصل الميل الطبيعي لا يدخل تحت الاختيار غالباً ، اذ تغير التابع بحيث يستوي عنده المحسن والمسيء ، وعدم التفرقة بين ما يصل منها اليه من النعمة والبلية ، ليس شريعة لكل وارد . نعم من تنور قلبه بمعرفه ربه ، واشترقت نفسه باضواء حبه وانسه ، وحار مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله ، واستشعر بالارتباط الخاص الذي بين العلة والمعلول ، والاتحاد الذي بين الخالق والمخلوق ، وعلم انه اقوى النسب والروابط ، ثم يتيقن بأن الموجودات بأسرها من رشحات وجوده ، والكائنات برمتها صادرة عن فيضه وجوده ، وان الاعيان المسكنة متساوية في ارتضاع لبان الوجود من ثدي واحدة ، والحقائق الكونية غير متفاوتة في شرب ماء الرحمة والوجود من مشرع الوحدة الحقيقية . فقد ينتهي امره الى الالتفت نفسه الى تفاصيل أحوال العباد ، بل ينظر الى الكل بعين واحدة ، وهي عين الرحمة ، ويرى الكل عبادا لله وافعاله ، وبرايم مسخرين له ، فلا ينظر الى شيء بعين السخط والمساءة ، وان ورد منه ما ورد من سوء والبلية . لانه لا ينظر اليه من حيث هو حتى يظهر التفاوت بل من حيث اتسابه اليه سبحانه ، والكل في الاتساب اليه سواء .

الله في الثواب كالمنعم وفاعل الخير . وقد ثبت من الاخبار . ان من لم يدرك درجة الاخيار بصالحات الاعمال ، ولكنه أحبهم ، يكون يوم القيامة محشورا معهم . كما ورد : « ان المرء يحشر مع من أحب » . وقال اعرابي لرسول الله : « الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم » فقال (ص) : المرء مع من أحب . وقال رجل بحضرة النبي - بعدما ذكرت الساعة - : « ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام : الا اني أحب الله ورسوله » فقال (ص) : انت مع من أحببت » قال الراوي : فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اذ أكثر ثقتهم كانت بحب الله وبحب رسوله . وروى : « انه قيل له (ص) : الرجل يحب المصلين ولا يصلي ، ويحب الصوام ولا يصوم - حتى عد أشياء فقال : هو مع من أحب » . وبهذا المضمون وردت أخبار كثيرة .

والاخبار الواردة في مدح خصوص النصيحة وذم تركها ، وفي ثواب ترك الحسد وعظم فوائده ، أكثر من ان تحصى . عن ابي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله (ص) : ان اعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في ارضه بالنصيحة لخلقه » . وعن ابي جعفر عليه السلام قال : « قال رسول الله (ص) : لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحة لنفسه » . وقال الباقر عليه السلام : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة » . وقال الصادق عليه السلام : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب » . وقال عليه السلام : « عليك بالنصح لله في خلقه ، فلن تلقاه بعمل افضل منه » . وبمضمونها أخبار اخر . وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : « قال رسول الله (ص) : من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه : فقد خان الله ورسوله » . وقال الصادق عليه السلام : « من مشى في حاجة أخيه ، ثم لم ينصحه فيها ، كان كمن خان الله ورسوله » . وكان الله خصه (٢١) .
والاخبار الاخر بهذا المضمون ايضا كثيرة .

وروي : « ان رسول الله (ص) شهد لرجل من الانصار بأنه من أهل الجنة » ، وكان باعته بعد التفتيش - خلوه عن الغش والحسد على خير (٢١) صححنا الاحاديث في النصيحة كلها على (الكافي) : باب نصيحة المؤمن وباب من لم ينصح أخاه المؤمن .

« قال الله عز وجل : ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن » . وقال (ع) :
 « اذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : ابن المؤذون لاوليائي ؟ فيقوم قوم
 ليس على وجوههم لحم ، فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ، ونصبوا لهم
 وعاندوهم وعنفوهم في دينهم . ثم يؤمر بهم الى جهنم » . وقال (ع) :
 « قال رسول الله (ص) : قال الله تبارك وتعالى : من آهان لي وليا فقد
 ارصد لمحاربتي » . وقال عليه السلام : « ان الله تبارك وتعالى يقول : من
 آهان لي وليا فقد ارصد لمحاربتي ، واذا اسرع شيء الى نصرة اوليائي » .
 وقال عليه السلام : « قال رسول الله (ص) : قال الله عز وجل : قد نابذني
 من اذل عبدي المؤمن » . وقال عليه السلام : « من حقر مؤمنا مسكينا او
 غير مسكين ، لم يزل الله عز وجل يحاقرا له ماقتنا ، حتى يرجع عن محقرته
 اياه » (٢٤) . وفي معناها أخبار كثيرة اخرى .

ومن عرف النسبة التي بين العلة والمعلول ، والربط الخاص الذي بين
 الخالق والمخلوق ، يعلم ان ايذاء العباد واهانتهم يرجع في الحقيقة الى ايذاء
 الله واهانته ، وكفاه بذلك ذما . فيجب على كل عاقل ان يكون دائما متذكرا
 لذم ايذاء المسلمين واحتقارهم ، ولمدح ضدهما ، من رفع الاذية عنهم واکرامهم
 - كما يأتي - ، ويحافظ نفسه عن ارتكابهما ، لئلا يفتضح في الدنيا
 ويعذب في الآخرة .

وصل

كف الاذى عن المسلمين

لا ريب في فضيلة اضرار ما ذكر وفوائدها ، من كف الاذى عن المؤمنين
 والمسلمين واکرامهم وتعظيمهم . والظواهر الواردة في مدح دفع الضرر وكف
 الاذى عن الناس كثيرة ، كقول النبي (ص) : « من رد عن قوم من المسلمين
 عادية ماء أو نار وجبت له الجنة » (٢٥) . وقوله (ص) : « أفضل المسلمين

(٢٤) صححنا الاحاديث هنا على (اصول الكافي) : باب من آذى المسلمين
 واحتقرهم . وعلى (احياء العلوم) : ٢ / ١٧١ ، ١٧٢ .
 (٢٥) صححناه على (فروع الكافي) : كتاب الجهاد ، في ملحق باب فضل
 الشهادة . وعلى (اصوله) : في باب الاهتمام بأمور المسلمين .

عليه السلام : « ما من أحد يظلم بمظلمة الا أخذته الله تعالى بها في نفسه أو ماله » . وقال رجل له عليه السلام : « اني كنت من الولاة ، فهل لي من توبه ؟ فقال : لا ! حتى تؤدي الى كل ذي حق حقه » . وقال عليه السلام : « الظلم ثلاثة : ظلم يغفره الله تعالى ، وظلم لا يغفره الله تعالى ، وظلم لا يدعه الله . فأما الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل فالشرك ، وأما الظلم الذي يغفره الله عز وجل فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل ، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد » . وقال الصادق (ع) في قوله تعالى :

« ان ربك لبالمرصاد » (٣٥) :

« قنطرة على الصراط ، لا يجوزها عبد بمظلمة » . وقال عليه السلام : « ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونا الا الله تعالى » . وقال : « من أكل مال أخيه ظلما ، ولم يرد له ، أكل جذوة من النار يوم القيامة » . وقال عليه السلام : « ان الله عز وجل اوحى الى نبي من انبيائه في مملكة جبار من الجبارين : أن أنت هذا الجبار ، فقل له : اني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الاموال ، وانما استعملت لتكف عني أصوات المظلومين ، فاني لن ادع ظلامتهم وان كانوا كفارا » . وقال عليه السلام : « أما ان المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم .. ثم قال : من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر اذا فعل به . أما انه يحصد ابن آدم ما يزرع . وليس يحصد أحد من المرحلو ، ولا من الحلو مرا » . وقال عليه السلام : « من ظلم ، سلط الله عليه من يظلمه ، أو على عقبه أو على عقب عقبه » . قال الراوي : « قلت : هو يظلم ، فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه ؟ ! قال : فان الله تعالى يقول :

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليستقوا

الله وليقولوا قولا سديدا » (٣٦) .

والظاهر ان مؤاخذه الاولاد بظلم آبائهم انما هو في الاولاد الذين

(٣٥) الفجر ، الآية : ١٤ .

(٣٦) صححنا احاديث الباب على (اصول الكافي) : باب الظلم . والآية من الحديث الاخير : سورة النساء ، الآية : ٨ .

كانوا راضين بفعل آبائهم أو وصل اليهم أثر ظلمهم ، أي انتقل اليهم منهم بعض أموال المظلومين . وقال بعض العلماء : الوجه في ذلك : ان الدنيا دار مكافاة وانتقام ، وان كان بعض ذلك مما يؤخر الى الآخرة . وفائدة ذلك اما بالنسبة الى الظالم فانه يردعه عن الظلم اذا سمع ، واما بالنسبة الى المظلوم فانه يستبشر بنيل الانتقام في الدنيا مع نيله ثواب الظلم الواقع عليه في الآخرة فانه ما ظفر أحد بخير مما ظفر به المظلوم ، لانه يأخذ من دين الظالم اكثر مما أخذ الظالم من ماله ، كما تقدم . وهذا مما يصحح الانتقام من عقب الظالم أو عقب عقبه ، فانه وان كان في صورة الظلم ، لانه انتقام من غير أهله ، مع انه لا تزر وزر أخرى ، الا انه نعمة من الله عليه في المعنى من جهة ثوابه في الدارين ، فان ثواب المظلوم في الآخرة اكثر مما جرى عليه من الظلم في الدنيا .

ثم ان معين الظالم ، والراضي بفعله ، والساعي له في قضاء حوائجه وحصول مقاصده ، كالظلم بعينه في الاثم والعقوبة . قال الصادق عليه السلام : « العامل بالظلم ، والمعين له ، والراضي به ، شركاء ثلاثتهم » . وقال (ع) : « من عذر ظالما بظلمه ، سلط الله عليه من يظلمه ، فان دعا لم يستجب له ، ولم يأجره الله على ظلامته » . وقال رسول الله (ص) : « شر الناس المثلث » قيل : وما المثلث ؟ قال : « الذي يسعى بأخيه الى السلطان ، فيهلك نفسه ، ويهلك اخاه ، ويهلك السلطان » . وقال (ص) : « من مشى مع ظالم فقد أجرم » . وقال (ص) : « اذا كان يوم القيامة ، نادى مناد : اين الظلمة وأعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة او ربط لهم كيسا او مددهم بمدة قلم ؟ فاحشروهم معهم » .

وصل

العدل بالمعنى الاخص

ضد الظلم بالمعنى الاخص هو العدل بالمعنى الاخص ، وهو الكف عنه ، ورفع ، والاستقامة ، واقامة كل احد على حقه . والعدل بهذا المعنى هو المراد عند اطلاقه في الآيات والاحبار ، وفضيلته اكثر من أن تحصى . قال الله سبحانه :

به الاخبار . قال رسول الله (ص) : « من حسي مؤمنا من ظالم ، بعث الله له ملكا يوم القيامة يحسي لحسه من نار جهنم » . وقال (ص) : « من فرج عن مفسوم او اعان مظلوما ، غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة » . وقال (ص) : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » . فقيل : كيف ينصره ظالما ؟ قال : « تسعه من الظلم » . وقال الامام ابو عبدالله الصادق عليه السلام : « من أغاث اخاه المؤمن اللهيان اللهيان عند جهده ، فنفس كربته واعانه على نصاح حاجته ، كتب الله تعالى له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله ، يجعل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ، ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة وآهواله » . وقال عليه السلام : « من نفس عن مؤمن كربة ، نفس الله عنه كرب الأخرة » . وخرج من قبره وهو تلج القواد . وقال الرضا عليه السلام : « من فرج عن مؤمن فرج الله قلبه يوم القيامة » . وقال رسول الله (ص) : « من سر مؤمنا فقد سري ، ومن سري فقد سر الله » . وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : « قال رسول الله (ص) : ان احب الاعمال الى الله عز وجل ادخال السرور على المؤمنين » . وقال الباقر عليه السلام : « تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرفه القذى عنه حسنة ، وما عبد الله بشيء أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن » . وقال عليه السلام : « ان فيما ناجى الله عز وجل به عبده موسى عليه السلام : قال : ان لي عبادا ابيحهم جنتي واحكمهم فيها ، قال : يا رب ، ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها ؟ قال : من ادخل على مؤمن سرورا ... ثم قال : ان مؤمنا كان في مسكة جبار ، فولج به ، فهرب منه الى دار الشرك ، فنزل برجل من أهل الشرك فأظله وارفقه واخافه ، فلما حضره الموت ، اوحى الله اليه : وعزتي وجلالي ! لو كان لك في جنتي مسكن لاسكنتك فيها ، ولكنها محرمة على من مات بي مشركا ، ولكن يا ناز هديه ولا تؤذيه ، ويؤتى برزقه طرفي النهار » . قالت (٤٢) : من الجنة ؟ قال : « من حيثما شاء الله » . وقال عليه السلام : « لا يرى أحدكم اذا أدخل على مؤمن سرورا انه عليه أدخله فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله (ص) ! » . عن ابا بن تغلب ، قال : « سألت ابا عبدالله عليه السلام عن حق المؤمن على المؤمن (٤٣) ، القائل الراوي ، والمجيب ابو جعفر - عليه السلام - .

